

أ.د. أحمد حطيظ
أستاذ التاريخ الوسيط

البحر الأبيض المتوسط



سكان لبنان

في

زمن الحروب الصليبية

(١٠٩٧ - ١٢٩٠ م)

دمشق

دار المحجة البيضاء



سكان لبنان

في
زمن الحروب الصليبية
١٠٩٧ - ١٢٩٠

3-1-1
H 13-1
-1

أ. د. أحمد حطيط
أستاذ التاريخ الوسيط

دار المحجة البيضاء

تجميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٢٨٧١٧٩ / ٠٣ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ . E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



إهداء

إلى الباحثين المهتمين بالعلاقات بين الشرق والغرب في
العصور الوسطى، آملاً أن تشكّل هذه الدراسة نقطة
انطلاق لأبحاث جديدة واعدة حول العلاقات بين شعوب
ضفتي المتوسط، في المرحلة التي اصطلح على تسميتها
«مرحلة الحروب الصليبية».

أحمد حطيط

مُتَلَمَّةٌ

إنَّ الصورة التي نخترناها في ذاكرتنا الجماعية، نحن الشرقيين، عمَّا سمي بـ «الحروب الصليبية»^(١)، هي مختلفة تماماً عن الصورة الراسخة في ذاكرة أهل الغرب الأوروبي، كما أن ما ارتسم في ذهن كلينا من تفسيرات لأثر هذه الحروب في العلاقات بين الشرق والغرب هي، وُفَّقَ ما أرى، مختلفة أيضاً.

فعندنا، في الشرق، تعتبر «الحروب الصليبية» حالة اعتداء قام بها الغرب الأوروبي ضد الشرق الإسلامي، متخذاً من

(١) خَلَّتْ مؤلفات المؤرخين المعاصرين لـ «الحروب الصليبية» (Les Croisades) من ذكر كلمة «الصليبيين»، فاستخدم المؤرخون اللاتين مصطلح «الحجاج» (Les pèlerins) و«فرنج» (Les Francs)، وما إلى ذلك، في سياق تأريخهم لهذه الحروب، بينما اكتفى المؤرخون المسلمون باستخدام المصطلح الأخير للدلالة على الأوروبيين الذين شاركوا في «الحروب الصليبية»، مع الإشارة إلى أن عبارة «الحروب الصليبية» لم تظهر إلا لاحقاً في العصر الحديث.

بعض الحوادث المفردة، والتجاوزات الظرفية التي حصلت في فلسطين، ذرائع ومستوغات لتبرير قيامه بحركة عسكرية منظمة، رمّت إلى تحقيق طموحات ملوك وأمراء أوروبا في بسط النفوذ والهيمنة على بقعة واسعة من الشرق، حيث توفرت لهؤلاء فرصة إقامة كيانات سياسية استمرت حوالى قرنين من الزمن. بينما يرى أهل الغرب أن السبب الرئيسي الذي دفع البابوية إلى الدعوة لقتال المسلمين يعود إلى سوء معاملة الفاطميين لحجاج بيت المقدس، التي بلغت ذروتها في زمن الحاكم بأمر الله، فضلاً عن سلسلة نداءات الاستغاثة التي وجهها المسيحيون الشرقيون وأباطرة بيزنطية لـ «إنقاذ المسيحية المهددة في الشرق».

وإذا كان موضوع البحث لا يتسع لدراسة خلفيات وأبعاد «الحركة الصليبية» إلى الشرق، فثمة ملاحظتين اثنتين نرى ضرورة الإشارة إليهما:

أولاهما: أن ما استندت إليه البابوية لتبرير دعوتها إلى «الحروب الصليبية» متذرعة بتسلط المسلمين على منطقة شرق المتوسط، والحدّ من وصول الحجاج الأوروبيين إلى الديار المقدّسة، والتضييق عليهم والتنكيل بهم (أيام الفاطميين والسلاجقة)، هو أمر مبالغ فيه. فإذا كان صحيحاً أن سيطرة المسلمين على الضفة الشرقية للمتوسط قد أحدثت إرباكاً

للحركة السياسية لدول أوروبا في هذه المنطقة، إلا أن العلاقات التجارية بين شرق المتوسط وبين الغرب الأوروبي استمرت نشطة ومزدهرة، كما استمرت حركة انتقال الحجاج الأوروبيين بحرية تامة إلى الديار المقدسة في فلسطين.

والراجح أن البابوية، التي ضجّت من كثرة المضايقات التي تعرّضت لها من قِبَل ملوك أوروبا وأمرائها الإقطاعيين (ومن ذلك المواجهة المبريرة التي جرت بين البابا غريغوري السابع والأمبراطور هنري الرابع) قد رأت في سلسلة النداءات التي وجهتها إليها بيزنطية، إثر هزيمة قواتها، على يد السلاجقة، في معركة ملاذكرد أو منزيكرت Mantzikert سنة ١٠٧٠ م، واحتلال هؤلاء برّ الأناضول وأنطاكية كلّها، وتهديدهم المباشر القسطنطينية، فرصة لتوحيد الفرنج تحت لوائها، كما وجدت في الحرب ضد المسلمين مجالاً لتحقيق حلمها القديم في فرض سلطانها الديني والديني على العالم المسيحي، بشقيه الغربي والشرقي، والعمل على توحيد الكنيستين اللاتينية واليونانية على المذهب الكاثوليكي، بعد الانشقاق الذي حصل بينهما سنة ١٠٥٤ م.

وتتعلق الملاحظة الثانية بحقيقة البواعث العميقة لمشاركة النُخب السياسية والاقتصادية الأوروبية في «الحروب الصليبية». فقد توصلت الدراسات الحديثة مؤخراً، إلى أن ثمة أسباباً

داخلية لا علاقة لها بالدين كانت تقضّ مضاجع الحكّام في أوروبا، آنذاك، حيث فرضت مشكلة حيوية نفسها على المجتمع الفيودالي تتصل بمصير الأبناء الآخرين للسيد الإقطاعي المتوفى، أي «نبلاء الدرجة الثانية»، حسب تعبير أحد الدارسين^(١)، باعتبار أن الابن البكر وحده، من دون أخوته، هو الوارث الحقيقي لإقطاع والده، وفقاً لما هو معمول به في النظم الفيودالية في أوروبا خلال القرون الوسطى، الأمر الذي هدّد بُنيّة النظام الفيودالي بالخطر الأكيد؛ فقد أضحى «نبلاء الدرجة الثانية» عاطلين عن العمل، وتحول بعضهم إلى قطاع طرق أو إلى مناصرين للكنيسة في مواجهتها الحكّام الزمنيين. لذا، رأى كبار القادة الأوروبيين في إرسال هؤلاء النبلاء في حملات عسكرية إلى الشرق، تحت لواء كبار الأسياد، حلاً لمشكلتهم، حيث يمكن أن تتوفر لهم، هناك، فرصة الحصول على الثروة والاستقرار، مستفيدين من حالة التفتت والتشظي التي كانت تعاني منها مصر والشام، نتيجة الخلافات المستفحلة بين الفاطميين والعباسيين.

وقد تنبه جان ريشار Jean Richard^(٢) إلى ذلك، في

(١) Jean Richard, Croisades et missions en Terre d'Orient: la participation française (Extrait du Colloque de Lyon, organisé le 23-31 Mai, 1980, sur «Les éveils missionnaires en France», p. 19.

J. Richard, Ibid., P. 19.

(٢)

معرض تساؤله عن ملابسات استجابة ملوك أوروبا وأمرائها لنداء البابا، رابطاً هذه الاستجابة بالبنية الفيودالية الذهنية الخاصة بالفروسية الأوروبية عامة، والفرنسية منها على وجه الخصوص. كما أن ازدهار الحركة التجارية التي شهدتها البحر المتوسط، خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. شجّع حكام المدن التجارية الأوروبية على الإسهام في «الحروب الصليبية» طمعاً في جمع الثروة وتحقيق الربح الوفير.

وعلى قاعدة هذا الاختلاف في النظر إلى «الحروب الصليبية» بين أهل الشرق والغرب، نطرح التساؤلات التالية:

كيف تعاملت الجماعة السكانية مع الفرنج، وما كان تأثير النظام الفيودالي الذي طبقه الفرنج في الشرق؟ واستطراداً، هل كان ثمة تأثير للسكان المحليين في عادات الفرنج ونظمهم الاجتماعية والثقافية؟

أعترف، بداية، بصعوبة الإجابة القاطعة على مثل هذه التساؤلات المشروعة، وإن القراءة التي أقدم عليها، فيما يلي - والتي حاولت، قبل الشروع فيها، تصفية ذهني، قدر استطاعتي، من الأفكار المسبقة ومما هو شائع - هي، بطبيعة الحال، قابلة للمناقشة وكذلك الاستنتاجات المبينة عليها.

ما تقدّم شكّل الدافع الأساسي لاختياري هذا الموضوع الشائك، الذي لم يسبق - حسب ما وصل إليه اطلاعي - أن تعرض له مؤرخو «الحروب الصليبية»، ممن درسوا فترة حروب الفرنج في الشرق، مثل: J. Prawer, Cl. Cahen, S. Runcinan, G. Wiet, K. Setton, J. Richard, R. Grousset، وسعيد عبد الفتاح عاشور، وعبد العزيز سالم، وفؤاد الصياد، والسيد الباز العريني، وغيرهم؛ فجُلّ هؤلاء المؤرخين عرضوا لموضوع النظام الفيوذالي الذي طبقه الفرنج في كياناتهم السياسية التي أنشأوها في الشرق، من دون أن يعيروا الاهتمام لدراسة واقع السكان المحليين في ظل هذا النظام، وهو ما أوليه اهتمامي في هذه الدراسة، التي ارتأيت تقسيمها إلى خمسة فصول، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، مع الإشارة إلى أن الفصول الخمسة تختلف أحجامها باختلاف مكانة كل منها في الدراسة.

في الفصل الأول، وعنوانه «حركة الفرنج إلى الشرق من انطلاقها إلى إقامة المملكة اللاتينية في بيت المقدس» تناولت ظروف انطلاق حركة الفرنج إلى الشرق الإسلامي، ثم تتبعت مسار الحملة الأولى التي قادها أعيان من النخب السياسية والدينية، في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، متبعاً الطرق والمسالك التي اجتازتها الحملة، والمعارك التي خاضها الفرنج ضد سلاجقة الروم في الأناضول، وإنشاءهم إمارة الرها وإمارة

أنطاكية، ومن ثَمَّ عبورهم مدن الساحل اللبناني، من دون قتال، وصولاً إلى بيت القدس، واحتلالها، بالقوة، وإقامتهم المملكة اللاتينية فيها، ثم احتلالهم طرابلس، حيث أقاموا فيها كونتية لاتينية، ليستكملوا، بعد ذلك، احتلال الشريط الساحلي من طرطوس إلى عسقلان.

وفي الفصل الثاني، وعنوانه «التوزع السكاني الطوائفي في المناطق اللبنانية في ظل حكم الفرنجي»، درست جغرافية المناطق اللبنانية وتوزعها على دويلات الفرنج، وانعكاسات ذلك على الأوضاع السكانية/ الطوائفية، ومواقف السكان المحليين من الفرنج.

وأفردت الفصل الثالث، وعنوانه «النظام الفيوذالي في المملكة اللاتينية»، لدراسة ماهية النظام الفيوذالي، والعلاقات الفيوذالية، ومكانة الفارس في المجتمع الفيوذالي؛ وتوقفت عند القضاء الفيوذالي، والمحاكم وأنواعها، والمهام الموكلة إليها، وإسهامها في تدعيم النظام الفيوذالي. وختمت الفصل بالوقوف على مكانة الكنيسة اللاتينية في النظام الفيوذالي.

وخصّصت الفصل الرابع، وعنوانه «حياة الجماعات السكانية اللبنانية في ظل النظام الفيوذالي»، للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجماعات السكانية اللبنانية/ الطوائف، في الأرياف، فتمعّنت في دراسة الاقتصاد الزراعي الفيوذالي،

والمحاصيل الزراعية، وأشكال ملكية الأراضي، وفاقاً للأحكام والأعراف الفيودالية المعروفة بـ «الأسيز» (Les Assises)، مقارنةً ذلك، في حدود ما تسمح به طبيعة الدراسة، بما كان سائداً في الاقتصاد الزراعي الإسلامي، آنذاك؛ وتوقفت عند علاقة الفلاح بالأرض، وبالسلطة الفيودالية الممثلة بأعيان القرى المعروفين بـ «الرياس»، وبالظروف المعيشية والاجتماعية الصعبة لسكان الأرياف. ثم عاينت خصائص المجتمع الفيودالي المدني، في المدن الساحلية خاصة، وأشارت إلى تشكّله من الأسياد الإقطاعيين الكبار والصغار ومن التجار، فضلاً عن سائر السكان المحليين الذين تعاطوا، إلى جانب التجارة وملحقاتها، الحرف والمهن الحرة والصناعات المختلفة، والأثر الإيجابي لذلك في أوضاعهم الاقتصادية، والاجتماعية.

أما الفصل الخامس والأخير، وعنوانه «خروج النزوح والهجرة والتبشير والامتيازات الأجنبية»، فعاينت فيه الأسباب والعوامل التي دفعت السكان المحليين إلى مغادرة سكناتهم في المدن الساحلية، والتبدلات الديمغرافية/ الطائفية التي أسفرت عن ذلك؛ كما درست ظاهرة هجرة المسيحيين «السوريين» إلى قبرص بعد سقوط الكيانات الفرنجية في الشرق، وتأثير هذه الظاهرة في البيئة الاجتماعية للجزيرة، في الأرياف وفي المدن؛ كما توقفت عند الدور التبشيري للإرساليات الأوروبية، وعندما

سُمِّيَ بـ «الامتيازات الأجنبية» للدول الأوروبية في الشرق،
وظهور أولى معالمها الاقتصادية والسياسية والثقافية في فترة
الحكم الفرنجي في الشرق.

واتكأت في دراستي على المصادر الأساسية الإسلامية
واللاتينية، وعلى المراجع الموثوقة، الأوروبية منها خاصة،
بلغتها الأصلية أو المعربة، لأنها أكثر التصاقاً بالتاريخ والتراث
الأوروبي العائدين لفترة «الحروب الصليبية» من المراجع
الأخرى؛ معتمداً منهاجاً قوامه العرض، والتحليل، والنقد،
والمقارنة، والوزن، والتعليل، ومن ثم إعادة التركيب، معتمداً
بجمل الموضوعية، لمقاربة الحقائق التاريخية المتصلة بالبحث.

وبعد،

فإن جلّ طموحي من هذه الدراسة هو السعي لجلاء
عموض ما يزال يحيط بمسألة دقيقة ومعقدة من تاريخ لبنان^(١)،
ومقاربة حقائقها التاريخية بعد أن أمعن كثير من الباحثين في
تشويهها، بإقحامهم روايات هي أقرب إلى الأساطير منها إلى
الوقائع التاريخية، فضلاً عن اعتمادهم بعض الحوادث المفردة

(١) إنَّ استخدامنا لمصطلح «لبنان» في عنوان الكتاب، إنّما هو على سبيل
التبسيط، ليس إلّا؛ فهذا المصطلح لا يصحّ استخدامه، علمياً، قبل
العام ١٩٢٠م، تاريخ إعلان «دولة لبنان الكبير» بحدوده المعترف بها
دولياً.

كحقائق ثابتة، على الرغم من التحفظ بشأن قيمتها العلمية،
وذلك للخلوص إلى بعض الاستنتاجات المحددة سلفاً، تبريراً
لأطاريحهم الأيديولوجية - الطائفية.

الفصل الأول

حركة الفرنج إلى الشرق من انطلاقها إلى إقامة المملكة اللاتينية في بيت المقدس

حينما أطلق البابا أربانوس الثاني نداءه الشهير في مدينة كلرمون - فرّان الفرنسية، في تشرين الثاني سنة ١٠٩٥ م، داعياً إلى الإسراع في نجدة المسيحية المهددة في الشرق، واسترجاع «الأراضي المقدسة»، في فلسطين، من أيدي المسلمين، تداعت جموع غفيرة، متعدّدة المناحي والاتجاهات، مظهرة استعدادها للانخراط في مشروع الجهاد الديني. فكانت حملات الفرنج المتلاحقة إلى الشرق، التي شارك فيها خليط من المتدينين، والفلاحين، وفقراء أهل المدن. غير أن الملوك والأمراء الإقطاعيين والتجار الإيطاليين لم يستجيبوا لنداء البابا، إلاّ لأنهم رأوا في الإسهام في هذه الحملات وسيلة لتحقيق أحلامهم في بسط النفوذ والهيمنة على الشرق الإسلامي والتنقم بخيراته، مستغلّين حالة التشّت والضياع التي كانت تعاني منها

الديار المصرية والشامية على حدّ سواء. وقد اتخذت حروب الفرنج، في الشرق، من الصليب شعاراً لها، فاتُّفقَ على تسميتها بـ «الحروب الصليبية».

أولاً: الحملة الصليبية، الأولى وملابسات العلاقة مع بيزنطية

تميّزت الحملة الأولى بأنها لم تكن تحت قيادة أمير واحد، بل تمثّل فيها الإقطاع الأوروبي أتمّ تمثيل؛ فكان لكل أمير، مشارك في الحملة، أتباعه ورجاله وأفصاله، بحيث، تكوّنت هذه الحملة من أربعة جيوش: قاد الجيش الأول الكونت دي تولوز، ريموند دو سان جيل (المعروف بصنجيل)؛ وتولى قيادة الجيش الثاني غودفروا دو بويون، دوق اللورين الأدنى وأخواه أوستاش، كونت بولونيا، وبودوان (المعروف ببغدوين أو الغندفري أو جفري) حسب المصادر الإسلامية؛ وكان الجيش الثالث بإمرة بوهيمند (بيمند) وابن شقيقه تنكريد، من أمراء النورمان في جنوب إيطاليا؛ أما الجيش الرابع فتزعمه روبرت، كونت نورمنديا، إضافة إلى الأساطيل الحربية للمدن الإيطالية، وخصوصاً جنوا والبندقية وبيزا، التي وُضعت في خدمة «الحروب الصليبية».

حُدّد الخامس من شهر آب سنة ١٠٩٦، موعداً لرحيل

الجيوش إلى الشرق، وعين الكاردينال أديمار دو مونتّي، أسقف لوبويّ، قائداً لها، ومندوباً عن البابا الذي أصرّ على أن الحرب المقدّسة ينبغي أن تناط قيادتها بأحد رجال الدين.

وفي ربيع سنة ١٠٩٧ م، وضلت جيوش الفرنج إلى القسطنطينية، فارتاع الأمبراطور البيزنطي ألكسي كومنين لَمَّا رأى كثرة عديدها، وأوجس من انقلاب مُنجديه عليه، وخشي من تكرار عمليات النهب التي رافقت «الحملة الشعبية» الفاشلة بقيادة بطرس الناسك ووالتر المفلس في العام السابق. لذا، لم يسمح الأمبراطور للفرنج بدخول عاصمته قبل أن يقسموا يمين الولاء والتبعية له، والتعهد بإعادة أملاكه التي يمكن استرجاعها من السلاجقة. فاستجاب قادة الحملة لطلب الأمبراطور، باستثناء تنكريد وريموند دو سان جيل اللذين اقتصر قسمهما على حماية حياة الأمبراطور وشرفه^(١).

وعلى الأثر، عبرت قوات الفرنج مضيق البوسفور إلى آسيا الصغرى، بواسطة مراكب بيزنطية، بعد أن اعتذر الأمبراطور عن قبول العرض الفرنجي بقيادة الحملة، واكتفى بتزويد الفرنج بالمؤن والعتاد، كما أرسل معهم بعض قواته، وعدداً من الأدلاء والمرشدين.

(١) René Grousset, Histoire des Croisades, Paris, 1936 vol. I, pp. 281- 284.

ثانياً: المواجهة مع السلاجقة وإنشاء إمارتي الرها وأنطاكية

وصل الفرنج، في ٦ أيار سنة ١٠٩٧ م، إلى نيقية، قاعدة سلاجقة الروم، وشرعوا في محاصرتها إلى أن استولوا عليها في ١٩ حزيران، وأعادوها إلى السيادة البيزنطية^(١). وفي مطلع تموز سنة ١٠٩٧ م، أوقع الفرنج بقوات السلطان السلجوقي ألب أرسلان، المتحالفة مع قوات الأمير غازي الدانشمندي، على مقربة من دوريليوم (إسكي شهر الحالية)^(٢)، فراجع السلطان السلجوقي إلى قونية، بعد أن أخرج البلاد التي رأى أنه لا يستطيع الدفاع عنها. ثم سقطت قونية سلماً بيد الفرنج، بعد أن غادرتها حاميتها إلى منطقة الجبال المجاورة.

وفي الطريق إلى أنطاكية، عبر جبال طوروس، انفصل تنكريد وبودوان عن بقية الجموع، وتوجّها إلى قليقية، واحتلا منطقة طوروس، ثم استولى تنكريد على أذنة (أضنة) والمصيصة، فأسرع بودوان لملاقاته هناك، وانتقل بعدها إلى

(١) ستيفن رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، تعريب السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧، م ١، ص ٢٥٦.

(٢) س. رنسيمن، المرجع نفسه، م ١، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤؛

R. Grousset, Histoire des Croisades, I, pp. 33-34.

مرعش، ومنها توجه شرقاً قاصداً مدينة الرها، الخاضعة لنفوذ الأرمن، واستولى عليها، في شباط ١٠٩٨ م، وأقام فيها أول إمارة لاتينية في الشرق^(١).

وفي ٢١ تشرين الأول سنة ١٠٩٧ م، حاصر الفرنج أنطاكية برّاً وبحراً، فصمدت المدينة عدة أشهر، ثم ما لبثت أن سقطت في ٣ حزيران سنة ١٠٩٨ م^(٢)، فأنشأ فيها بوهميند إمارة اللاتين الثانية، وذلك في مطلع سنة ١٠٩٩ م.

ولمّا تمّ للفرنج الاستيلاء على أنطاكية، غادروها متجهين جنوباً إلى القدس، من دون عقبات تذكر، فاحتلوا معرة النعمان، ومصيف، وبعرين، ورفنية، وحصن الأكراد؛ ثم انصرفوا إلى منطقة الساحل، ليكونوا على مقربة من السفن الإنكليزية والإيطالية، للتزوّد بالمَدَد، في أثناء مسيرهم إلى فلسطين.

ثالثاً: اجتياز الفرنج الساحل اللبناني إلى القدس

بعد احتلال الفرنج حصن الأكراد، دخلوا الأراضي

(١) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، تعريب سهيل زكار، بيروت، ١٩٩٠، ج ١، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ٦٤ - ٧٠؛ وليم الصوري، المصدر نفسه، ج ١، ص ص ٣٣٠ - ٣٣١.

اللبانية، في ربيع سنة ١٠٩٩ م، من الشمال الشرقي لعكار، واقترب ريموند الصنجيلي من مدينة عرقه، الخاضعة لنفوذ صاحب طرابلس، القاضي فخر الملك ابن عمار، فأوفد هذا الأخير رسلاً إلى ريموند «يسأله المودعة والاتفاق»، مبدياً استعداداه لتقديم المال والمؤن للفرنج، لدفع الخطر عن إمارته، وتفادي القتال، فوافق كونت تولوز على مبدأ المسالمة، إلا أنه سرعان ما نقض ما سبق أن وافق عليه، عندما أبلغه مبعوثوه إلى طرابلس ما تتمتع به المدينة من ثراء ورخاء، فقرر مهاجمة عرقه للضغط على ابن عمار حتى يزيد من قيمة الأموال التي تعهد بدفعها للفرنج^(١).

شرع ريموند في محاصرة عرقه، وأرسل، في الوقت نفسه، قوة عسكرية إلى أنطرطوس (طرطوس حالياً) الواقعة داخل حدود إمارة ابن عمار.

ولئن نجح الفرنج في احتلال أنطرطوس، سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩ م، وحاصروا جبلة، فإنهم فشلوا في الاستيلاء على عرقه، لمناعة أسوارها واستبسال أهلها في الدفاع عنها، فاضطرّ ريموند، تحت وطأة إلحاح العامة من الفرنج، ومعارضة معظم القادة، إلى التراجع عن المدينة، بعد أربعة أشهر من الحصار،

(١) س. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، م ١، صص ٣٨٠ - ٣٨١.

لمتابعة السير إلى القدس، بعد أن وصلت إلى قادة الفرنج رسائل من الأمبراطور البيزنطي، يفصح لهم فيها عن استعداداته للمقدوم، شخصياً، إلى الساحل الشامي لتولي قيادة الجيوش اللاتينية إلى الأرض المقدسة^(١).

وأثناء مرور الفرنج بجوار طرابلس قدّم إليهم ابن عمار قدراً كبيراً من المال والمؤن والخيول، وأفرج عن ثلاثماية من الأسرى البيزنطيين، لقاء تعهّد قادة الفرنج لأمير طرابلس بعدم تعرّضهم، أثناء الزحف، لثلاث مدن كان يحكمها، وهي: عرقة، طرابلس، وجبيل، والمناطق التابعة لها^(٢). وبذلك أنقذ ابن عمار مدينته من السقوط، ولو إلى حين.

غادر الفرنج منطقة طرابلس، في ٦ أيار ١٠٩٩ م، بطريق الساحل، وتولّى أدلاء من المسيحيين المحليين إرشادهم إلى الطريق الموصلة إلى بيروت؛ وربما انضم هؤلاء الأدلاء إلى كشافة طرابلسيين كان ابن عمار قد كلّفهم بمرافقة الفرنج^(٣).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٦٧، م ٨، ص ص ١٨٧ - ١٨٨؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ص ٣٨٧ - ٣٨٨؛ ٣٩٠ - ٣٩٢.

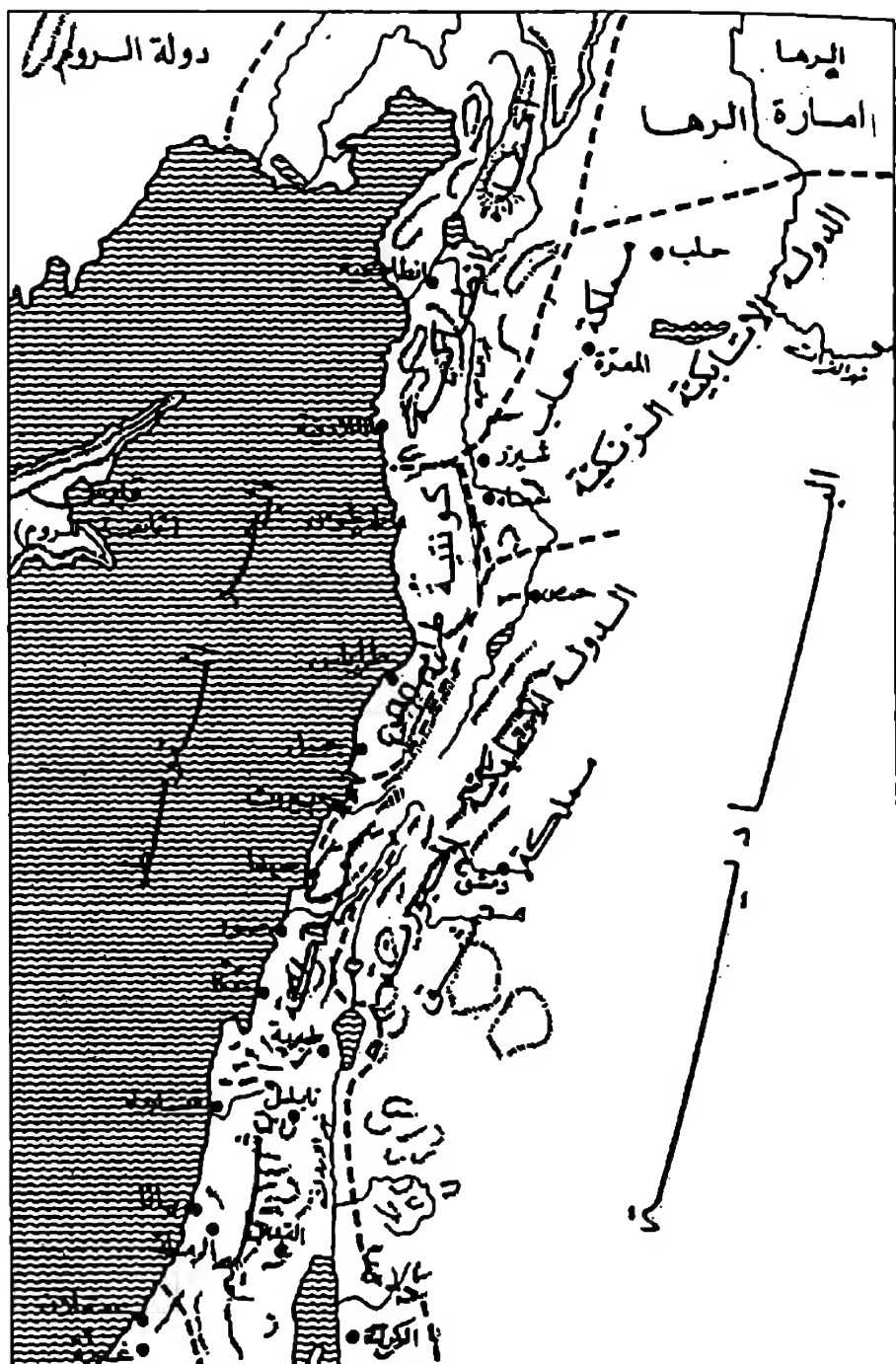
(٢) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة، ص ١١٣؛ وليم الصوري، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٧.

(٣) حول احتمال تزويد ابن عمار الفرنج بأدلاء يرشدونهم إلى طريق بيروت، راجع: س. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، م ١، ص ٣٨٨.

وبعد اجتياز البترون وجبيل، وصل جيش الفرنج، في ١٩ أيار، إلى حدود الممتلكات الفاطمية، على نهر الكلب، واخترقها. وبسبب ضعف الحاميات الفاطمية، وَجَدَت المدن الساحلية نفسها تحذو حذو طرابلس لتحصل على الأمان؛ فحينما اقترب الفرنج من بيروت، بادر أهلها إلى إمدادهم بالتموين وبالمال، وسمحوا لهم بعبور أراضيهم، مقابل عدم التعدي على بساتينهم وحدائقهم. ثم تحرّك الفرنج من بيروت إلى صيدا، وعسكروا على الضفة الجنوبية لنهر الأولي في ٢٠ أيار سنة ١٠٩٩ م. ويشير وليم الصوري^(١)، إلى أن ردة فعل صيدا كانت مختلفة؛ فقد قامت حاميتها بعدة هجمات على الغزاة، فانتقم هؤلاء من المدينة بتدمير بساتينها ونهب الضياع القريبة منها.

تابع الفرنج مسيرهم على الخط الساحلي، ووصلوا إلى صور في ٢٣ أيار، بعد أن عبروا صرند (صرقة)، ومنها انتقلوا إلى عكا وقيسارية، فأرسوف، وانحرفوا عن طريق الساحل شرقاً نحو الرملة، واستولوا عليها، بعد أن أخلاها سكانها، واحتلوا اللد، ثم ساروا باتجاه بيت المقدس التي كانت، آنذاك، بيد الفاطميين، بعد أن استردّوها من السلاجقة.

(١) وليم الصوري، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٣٩٨ - ٣٩٩.



دويلات الفرنج في الشام

وصل الفرنج إلى القدس، في ٧ حزيران سنة ١٠٩٩ م، وحاصروها ما يقارب أربعين يوماً، إلى أن سقطت عنوة بيدهم، في ٢٢ شعبان سنة ٤٩٢ هـ/ تموز ١٠٩٩ م، وأحدثوا فيها مذبحة رهيبة، وقد ذُكر أن عدد القتلى، من أهل المدينة، جاوز سبعين ألف ضحية^(١).

وبعد مناورات سياسية، لم تخلُ من الحِدة بين دايمبرت البيزي أسقف بيت المقدس الجديد، وريموند الصنجيلي، وغودفروا دو بويون، تقرر تعيين هذا الأخير حاكماً لبيت المقدس، في ٢٢ تموز سنة ١٠٩٩ م، إلا أنه لم يرغب أن يُسمّى ملكاً، وفضل أن يُلقب بـ «حامي الضريح المقدس»^(٢). وإثر وفاته المبكرة، في تموز سنة ١١٠٠ م، حلَّ مكانه أخوه بودوان، أمير الرّها، واتخذ لنفسه لقب «ملك بيت المقدس».

رابعاً: احتلال مدن الساحل اللبناني

في أعقاب وقعة عسقلان التي هُزم فيها الفاطميون، في

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٣، ص ٢٢٢؛ مؤرخ مجهول، أعمال الفرنج، ص ص ١٩٩ - ١٢٠؛ وليم الصوري، المصدر نفسه، ج ١، ص ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

(٢) وليم الصوري، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧١.

R. Grousset, Histoire, I, pp. 446-449.

صيف سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م، وحادثة الكمين الفاشل الذي نصبه دقاق، صاحب دمشق، للإيقاع ببودوان عند مضيق نهر الكلب، أثناء توجهه من الرّها إلى القدس، أيقن الفرنج أهمية بسط نفوذهم على مدن الساحل، لضمان اتصالهم البحري مع أوروبا، وتأمين الطرق البرية مع بيزنطية، وخصوصاً عن طريق مدن عكا، وصور، وصيدا، وبירות، الخاضعة لنفوذ الفاطميين، فضلاً عن طرابلس التي كان يحرص صاحبها ابن عمار على إعلان تبعيته للخليفة الفاطمي^(١).

وفي ربيع سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م، شرع الملك بودوان بمهاجمة مدن الساحل، فاحتل عكا سنة ١١٠٤ م، بعد أن شجع ريموند الصنجيلي على التوجّه إلى طرابلس والاستيلاء عليها. ولما علم فخر الملك ابن عمار بدنوّ الفرنج من مدينته، سارع إلى التماس النجدة من دقاق ومن جناح الدولة أمير حمص، فاستجابا لطلبه، وسارت قواتهما لقتال الفرنج، في السهل الواقع خارج طرابلس، فأسفرت المعركة عن انتصار

(١) يذكر وليم الصوري (المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٨٣) أن ابن عمار أعلم بودوان بالكمين الذي نصبه له دقاق. ولعل السبب في ذلك يعود إلى تخوف ابن عمار من توجه دقاق، في حال فوزه ببودوان، للاستيلاء على طرابلس. حول ما ذهبنا إليه، راجع ما ورد في: سن. رنسيان، تاريخ، م ١، ص ٤٥٦.

ريموند، لكنه لم ينجح في دخول المدينة، نظراً للمقاومة الضارية التي أبداها أهلها، فرجع إلى أنطربوس، متحسناً الظروف الملائمة لمعاودة الهجوم على طرابلس.

ولم يمض وقت طويل حتى انبرى ريموند لمحاصرة طرابلس، في رجب سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م، بمعونة الأسطول الجنوبي الراسي على مقربة من اللاذقية. لكن صمود المدينة أفشل الهجوم عليها، فانكفاً ريموند جنوباً إلى جبيل، واستولى عليها بالأمان، بمساعدة جنوا، بعد أن عقد معها صفقة نال الجنوبيون، بموجبها ثلث جبيل^(١).

وباستيلاء الفرنج على جبيل، أصبحت منطقة نفوذ ريموند تحيط بطرابلس من الشمال، حيث أنطربوس، ومن الجنوب حيث جبيل.

ثم واصل ريموند حصار طرابلس، مستغلاً فرصة انشغال الفاطميين في قتال بوداون في فلسطين، وبنى قلعته الشهيرة فوق تلة مشرفة على طرابلس، لجهة الميناء. وثمّ بناء القلعة في ربيع سنة ١١٠٤ م، وسمّاها «تلة الحجاج»، عرفت في المصادر الإسلامية بـ «حصن صنجيل». ولوضع حد للمضايقات التي

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٢٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨،

ص ٣٢١؛ R. Grousset, Histoire, I, p. 341.

أحوالهم متروكة لهم». ثم يردف الرحالة الأندلسي، فيقول: إن ما يدفعه هؤلاء المسلمون للفرنجة هو أقل بكثير مما يدفعه «إخوانهم» في المناطق الخاضعة لسلطة المسلمين^(١).

وتعليقاً على شهادة ابن جبير، آنفة الذكر، نقول: كانت أعباء القيام بالأعمال الزراعية، لتأمين الموارد الأساسية للنظام الفيودالي الفرنجي، تقوم على كاهل الفلاحين المحليين، من دون الفلاحين الأوروبيين؛ فهؤلاء الآخرون وجدوا بالمشاركة في «الحروب الصليبية» فرصة سانحة للتخلص من حالة الفقر والعبودية التي كانوا يعانون منها في ظل النظام الفيودالي في أوروبا. لذا، كان من الطبيعي أن لا يظهر الفلاحون الفرنجة أي حماس للعمل في الأرض. ولحل هذه المشكلة، ارتأى الأسياد الفرنجة أن يتركوا زراعة الأرض للفلاحين المحليين، ويتقاسموا معهم محاصيلها وغلالاتها. وهكذا كان واقع الحال في جميع المناطق التي خضعت للفرنجة، وهو ما يشير إليه الرحالة الأندلسي صراحة بقوله: «وكل ما بأيدي الإفرنج من المدن بساحل الشام على هذا السيل».

لقد أحدثت الضرائب المرتفعة المفروضة على الجماعات السكانية المحلية ردة فعل سلبية تجاه الفرنجة. ويردُّ أسامة ابن

(١) ابن جبير، رحلة (نسخة بغداد)، ص ٢٥٠.

منقذ (ت ٥٨٤ هـ) الأسباب الرئيسية لحالة الكراهية، التي سادت مشاعر الأهالي إزاء الفرنج، إلى سوء المعاملة التي كانوا يلقونها منهم، وعدم ثقة الفرنج بالسكان، فاتهمهم مراراً بالتعاون مع أعدائهم من المسلمين. ويؤكد ذلك ما ذكره جاك دو فيتري الذي اتهم المسيحيين الشرقيين بفضح أسرار الفرنج للحكام المسلمين. بينما يرّد الأب لامنس سوء المعاملة تلك إلى حال التعصب «الكاثوليكي» التي طغت على سلوك الفرنج في علاقتهم بسكان البلاد، من المسيحيين والمسلمين^(١)؛ فالفرنج رأوا في أغلبية المسيحيين الشرقيين هراطقة وملحدين لا يستحقون، في نظرهم، الاهتمام والتقدير، ولم يتورعوا، بالتالي، عن التدخل في شؤونهم الكنسية^(٢).

ومن ذلك، على سبيل المثال: المساعي التي قام بها الفرنج، حوالي سنة ١١٨٠ م، لربط الكنيسة المارونية بالكنيسة اللاتينية، بتشجيعهم بعض الموارد على إعلان ولائهم لكنيسة روما، قابله رفض شديد من موارد آخرين؛ وتفاقم الخلاف بين الفريقين محدثاً شرخاً في الطائفة المارونية، انعكس سلباً على وحدة كنيستها، واستمر إلى حين خروج الفرنج من الشرق سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م^(٣).

(١) H. Lammens, La Syrie, I, p. 169.

(٢) R. Ristelhueber, Les Traditions, pp. 52-53.

(٣) كمال الصليبي، منطلق، ص ص ٩٤ - ٩٥.

٢ - المحاصيل الزراعية

كانت زراعة الحبوب من أهم الأنشطة الزراعية للفرنج، وذلك للتزود بالمواد الغذائية التي يحتاجونها. لذلك، نشطت زراعة الحبوب في السهول القريبة من أنطاكية، وطرابلس، وصور، وطبرية، والجليل^(١). ومع ذلك، فقد عانى الفرنج المقيمون في الشرق من الفجوة التي حدثت بين إنتاج الحبوب والزيادة المطردة لعدد الفرنج، فضلاً عن الحاجة المستمرة إلى تخزين الحبوب كإجراء احتياطي لازم للصمود في وجه الهجمات المضادة، وحالات الحصار التي تعرضوا لها من قبل المسلمين، الأمر الذي دفعهم إلى استيراد الحبوب من المناطق الإسلامية المجاورة، ومن القسطنطينية، وأرمينية، وقبرص، وصقلية^(٢).

وحرص الفرنج على أن تزرع أراضيهم بالبقوليات، مثل: الفول، والعدس، والبسلة، التي لعبت دوراً هاماً في إطعام السكان الفرنج^(٣)، فهي تُعدّ محاصيل مضاعفة؛ كذلك زُرعت

(١) De Vitry, op. cit., pp. 11, 16 et 34.

(٢) S. Runciman, A History, III, p. 353; J. Richard, Agriculture in Frankish Syria, pp. 264-266.

(٣) J. Prawer, The Latin Kingdom, p. 258.

نباتات أخرى، مثل: الفاصوليا، والبازيلا، والحمص^(١).

وزرعت أراضي الفرنج صيفاً بالسمسم، موازناً للمحاصيل الزراعية - ومساعداً على وجود الدورة الزراعية - واستخرج منه زيت السمسم اللازم للطعام^(٢). كما انتشرت زراعة الخضراوات، واشتملت على نباتات مثل: الخيار، والبصل، والثوم^(٣).

وحينما استقر الفرنج في الشام، وجدوا زراعات قصب السكر الكثيفة حول مدن طرابلس، وصيدا، وصور، ويطول وادي نهر الأردن، وأريحا^(٤).

ونظراً لاحتياج زراعة قصب السكر إلى المياه الغزيرة، فقد ركز الفرنج زراعته في سهل مدينة صور، حيث مياه قناة رأس العين، وكذلك في وادي نهر الأردن، وطبرية، وأريحا^(٥).

(١) J. Prawer, the latin., p 360; J. Richard, Agriculture., p 260.

(٢) J. Prawer, Ibid., p. 362.

(٣) Ibid., p. 361; J. Richard, op. cit., p. 260.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ٣٧٢؛ ناصري خسرو، سفرنامه، ص ١٣، ١٤؛ هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ١٨٩.

(٥) De Vitry, op. cit., p 30; William of Tyre, vol. I, p. 5.

ويحدثنا الراهب بورخارد عن طريقة زراعة قصب السكر، فيذكر أن القصب يقطع إلى عقل أو أجزاء صغيرة، ثم تزرع هذه الأجزاء في أراض رطبة ومبللة بالماء، في فصل الربيع، ويحين حصاده، في شهر شباط من العام التالي^(١)، ويحمل إلى المعاصر للحصول على عصيره، ومن ثم استخراج السكر منه.

ونظراً لشهرة أراضي بلاد الشام بزراعة القطن، وبخاصة في مناطقها الشمالية، وحول أنطاكية، ووادي نهر العاصي، وكذلك بالقرب من صور. وقد اهتم الفرنج بهذه المنتجات لأهمية القطن في صناعة المنسوجات^(٢).

وتعتبر مزارع الزيتون الأكثر انتشاراً في بلاد الشام، وقد تركزت حول مدينة بيت المقدس، وفي وادي عربة، وكذلك حول مدينة طرابلس، والكورة، والبترون، وبجوار بيروت، ومناطق جبل عامل.

واشتهرت أراضي الشام بزراعة الكروم، الأمر الذي حافظ عليه الفرنج لإمدادهم بالنبيذ، فأقاموا مزارع الكروم في

Burchard of Mount Sion: A Description of the Holy Land, p. (١)
100.

J. Richard, op. cit., p. 261.

(٢)

المناطق المجاورة لمدينة بيت المقدس، وفي سهل وقرى عكار، وبالقرب من طرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور.

ومن الواضح أن الكنائس قد أبدت اهتماماً كبيراً بزراعة الكروم، وأشرف رجال الدين مباشرة على العمليات الزراعية، وأدركوا أن الحقول التي تزرع بالكروم حديثاً تدر محصولاً يقلّ عمّا تدرّه أشجار الكروم القديمة، فلجؤا إلى فرض نسب مختلفة من الضرائب على الأراضي المزروعة بالكروم^(١).

وعرف الفرنج الموز، وأسموه تفاح الجنة، وكانت زراعته منتشرة في منتصف المدن الساحلية اللبنانية والشامية، كما عرفوا التفاح، والليمون، والبرتقال. ووجدت في أيامهم الفواكه الأخرى، مثل: الخوخ، والرمان، والتوت، وكذلك أشجار الجميز والخروب، بالقرب من صيدا، وعلى جبل طابور، ونابلس، وعكا^(٢).

ونتيجة لقدوم الفرنج من منطقة مختلفة زراعياً عن المناطق الزراعية في الشرق، فقد اكتشفوا وجود عدة نباتات ومحاصيل زراعية مختلفة، لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً. وقام الفلاحون الشوام بتعليم الفرنج أسلوب زراعة هذه المحاصيل الجديدة،

J. Prawer, The Latin Kingdom, p. 372.

(١)

(٢) الإدريسي، نزعة المشتاق، ص ٣٧١.

الأمر الذي أدى في نهاية الأمر إلى انتقال العديد من النباتات والمحاصيل الشامية إلى القارة الأوروبية، ومن ذلك: الذرة، والأرز، والسّمسم، والخروب، والليمون، والبطيخ، والخوخ، والمشمش، والكرز، والبلح^(١).

على أن الأمر الذي لا شك فيه هو تدهور الإنتاج الزراعي للريف الفرنجي، على أثر انتصارات صلاح الدين، في عام ١١٨٧ م، وما بعده، حيث تقلصت مساحة كيانات الفرنج إلى الشريط الساحلي، وسقطت المدن الداخلية في يد السلطان، فأسهم ذلك في حركة النزوح السكاني إلى المدن الساحلية. وبسبب فقدان الكثير من الأراضي الزراعية الخصبة - وهو ما أحدث ندرة في إنتاج الحبوب في الإمارات اللاتينية - أُجبرَت سلطاتها على استيراد الغلال من الداخل الإسلامي وبيزنطية.

٣ - سكان المدن

تكوّن سكان المدن من الأسياد الاقطاعيين الكبار والصغار، والتجار، فضلاً عن سائر السكان المحليين الذين

(١) ول. ديورانت، قصة الحضارة، ج ٤، ص ٦٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ص ٥٨.

تعاطوا، إلى جانب التجارة وملحقاتها الحرف، والمهن الحرة، والصناعات المختلفة.

(١) التجارة والتجار

حظيت التجارة، خلال حروب الفرنج في الشرق بنهضة لم تكن تعرفها من قبل، ولم يعد التاجر الفرنجي، لاسيما في المنطقة الخاضعة لنفوذ بني جنسه تحت رحمة أمراء من أصل وطبائع شرقية، يتعامل فيها مع سكان تختلف لغتهم وطبائعهم وعاداتهم عن طبائعه وعاداته. فقد أضحي هذا التاجر يشعر أنه في كنف سلطة أوروبية وسط سكان يسودهم العنصر اللاتيني، ويؤدون دوراً هامشياً في حركة التجارة، فيما أمسى هو يتمتع بامتيازات منحه إياها الأسياد اللاتين بصفته «مواطناً»، وبإستطاعته، والحالة تلك - إذا ما أراد أن يستقر، مؤقتاً أو نهائياً، في المدينة التي يختارها مسكناً، وفي حي فيها تملكه جاليته، وتمارس فيه إدارة شؤونها وأمنها وحياتها الروحية - أن يحصل على منتجات الشرق عموماً من دون أن يتكبد مشقة القيام برحلات طويلة للفوز بها^(١).

ولم يكن الحي التجاري حكراً على أبناء الجالية

(١) ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تعريب أحمد محمد رضا، القاهرة، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٧٥.

التجارية؛ ففي صور، مثلاً، سكن في الحي البندقي مسلمون ويهود، وتمتعوا بأمن وطمأنينة؛ وكان التجار الأجانب يجدون في هؤلاء الأخيرين عمالاً مهرة، يعملون في المرافئ في نقل السلع من السفن إلى المخازن أو العكس، فضلاً عن العمل في مكاتب الشحن والسفر^(١).

ولئن شكلت التجارة المرتكز الأساسي للحركة الاقتصادية في المدن الساحلية اللبنانية الخاضعة للنفوذ الفرنسي، فإن الحصول على الربح بالنسبة إلى كافة التجار في تلك الفترة، بلا تمييز في الدين، كان يتم أساساً من خلال الفرق الناتج من شراء السلع من الأسواق الرخيصة وبيعها بأثمان غالية في أسواق أخرى؛ فضلاً عن أن فترة الحرب كانت مناسبة لكسب المال الوفير من تجارة الأسلحة.

وإذا كانت المبادئ والتوجهات تخضع تقريباً في كل مكان إلى الهموم ذاتها، فقد كان لكل ميناء مع ذلك قوانينه المطابقة لسياسة السلطات المعنية.

وإجمالاً، كانت تُعدُّ، عند اقتراب السفن التجارية من الموانئ اللبنانية، قائمة بأسماء الركاب والبضائع التي تُفرغ، وتُوضع في أحد الفنادق لتخزينها تمهيداً لبيعها من التجار.

(١) ف. هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ص ٦٦ - ١٦٥.

وكانت العملية الرئيسية تتمثل في تنظيم عملية واسعة من البيع بالمزاد من قبل موظفي الميناء، ويأتي، في أثناء ذلك، الوسطاء المحليون للحصول على البضائع التي يقومون بتصريفها لدى تجار المرفق بالداخل. وفي هذه الفترة، لم يكن التجار الأجانب، في الواقع، يمارسون البيع بأنفسهم داخل البلد إلا استثناء.

وحرصت سياسة الأسياذ على تشجيع الاستيراد أكثر من حرصها على تشجيع التصدير، إذ كان همهم الأول تأمين الإمداد الداخلي الذي يخص، في قسم كبير منه، طبقة الأسياذ؛ فخلال عمليات البيع بالمزاد، كان على التجار الأجانب دفع الرسوم المتوجة عليهم؛ وكانت هذه الرسوم تعلق وتهبط وفقاً لجنسيات التجار وطبيعة البضائع، فعلى سبيل المثال: كانت الرسوم مخفضة جداً بالنسبة إلى المعادن الثمينة القابلة لأن تسك نقوداً.

ويبدو أن المبدأ الأساسي السائد هو اقتطاع العشور، ويزاد عليها ذلك تكاليف بقية الخدمات، وهو ما كان يضاعف المبلغ في أغلب الأحيان. ولم يكن ثمة فرق في ذلك، بين المسلمين وغير المسلمين إلا فيما يخص الممتلكات الشخصية غير القابلة للتسويق.

وكانت الفنادق، في هذه الفترة، تدار من قبل الجاليات

الأوروبية، وكان لطوائف اللاتين فنادقهم بحسب جنسياتهم، وإن كان هناك اتجاه إلى توزيع الفنادق تبعاً للجنسيات الموجودة، لأن الفنادق كانت تستخدم، أيضاً، لمتطلبات الحياة الخاصة بالجاليات التجارية.

وتجدر الإشارة إلى أن الإيطاليين قد سيطروا إلى حد بعيد، على العلاقات التجارية بين الشرق والغرب، خلال الوجود في الشرق، بحصولهم على امتيازات اقتصادية كبيرة في المدن الساحلية التي جرى احتلالها؛ فقد اشترطوا الحصول على ٣/١ المدن التي يشاركون في الاستيلاء عليها.

ففي عام ١١٠٠ م، رسا أسطول بندق في ميناء يافا، وتعهد قاده للملك بأن يلتزموا بخدمته، من ٢٤ حزيران إلى ١٥ آب، لقاء تعهده بمنحهم كنيسة وموقعاً ملائماً لإقامة سوق في كل مدينة يستولي عليها الفرنج، وبمنحهم أيضاً ثلث أراضيها؛ كما اشترطوا عليه إعفاءهم من الضرائب المتوجبة على التجار في المملكة اللاتينية في بيت المقدس كلها^(١).

وكان البنادقة أول من حاز على امتيازات تجارية في كونتية طرابلس. أما الجنوبية فحصلوا، في عام ١١٠٩ م، على جيبيل بكاملها، واستمرت بأيدي أسرة أمبرياتشي الجنوبية حتى

(١) هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ١٥٠.

خروج الفرنج من الشرق. ونال البيازنة حياً خاصاً بهم في طرابلس، وملكوا منازل كثيرة في المدينة، وإن لم تكن العلاقات طيبة بينهم وبين كونتات طرابلس، بسبب نزاعهم مع أسقف طرابلس، حين أنكر الأخير على البيازنة الإعفاءات التي حصلوا عليها، في عام ١١٨٧ م، فيما يختص بالثلث الذي كان لهم من إيرادات جمارك المدينة^(١). وشارك الإيطاليون الفرنج السكن في معظم المدن الساحلية الخاضعة لنفوذهم، في مملكة بيت المقدس، وكونتية طرابلس حيث حصلت كل جالية إيطالية على حيّ وفندق خاصين بها، وعلى مركز قنصلي، وكنيسة، وحمام، ومسلخ، وفرن، وساحة، وقصر، وطاحون، فضلاً عن ملحقات خارجية من حدائق وأراضٍ، وقرى، ودساكر، خارج أسوار الحصون^(٢).

ومن المفيد، في هذا السياق، أن نشير إلى أنه لم يكن ثمة شيء أكثر تعقيداً وإبهاماً من الرسوم الجمركية في الموانئ الفرنجية، وفي موانئ العصور الوسطى بشكل عام، حيث اختلفت نسبة الرسوم باختلاف نوع السلعة التجارية وجنسية التاجر، كما كانت نسبة الرسوم الجمركية تختلف من ميناء إلى ميناء آخر.

(١) هايد، تاريخ التجارة، ص ٣٢٩.

(٢) ميشال بالار، الجمهوريات البحرية، ص ٩٨.

ونتيجة لذلك، وبسبب حرصهم على توسيع هوامش أرباحهم، اهتم التجار الإيطاليون بالحصول على إعفاءات ضرائبية بهدف تسهيل سير تجارتهم، وهي إعفاءات كانت تُعرف آنذاك بـ (كومرشيوم Comerchium)، أي مجموعة الضرائب التجارية في العهد البيزنطي.

ومع ذلك، لم يتمتع التجار الإيطاليون بكامل الإعفاءات التي وُعدوا بها، إذ توجب على بعضهم، في كونتية طرابلس، دفع قسم من «ضرائب السلسلة» إلى نبلاء الثغور، كما اضطر، أحياناً، جميع التجار إلى أن يدفعوا الضرائب عن السلع الواردة إلى الشرق أو المصدرة منه. ناهيك بأن السلع الغذائية أخضعت للوزن، وكان يزنها مكلّفون عُرفوا بالوازنين، يتقاضون بدل أتعابهم من التجار. وخضعت السلع، أيضاً، لتقدير المحتسبين وتخمينهم. وقد تخلّى كونتات طرابلس وإقطاعيوها للتجار الإيطاليين عن حطام السفن في موانئهم، وعن أموال التجار المتوفين من دون ورثة، أو من دون كتابة وصية؛ كما تعهدوا بالحرص على سلامة التجار الشخصية. وكذلك تمّ تخفيض الضرائب المفروضة عليهم إلى النصف في يافا، كما تمتع الجنوية بإعفاء تام من الرسوم الجمركية والضرائب في طرابلس وجبله، وصور، وأنطاكية. وشمل الإعفاء التام - أو شبه التام - تجار البندقية في صور، وعكا.

كانت محكمة الميناء Cour de la Port مسؤولة عن استمرار العمل في الميناء، وعن صيانتة، وعن جمع الإيرادات، ودفع الإيجارات، كما كان الإشراف على مكتب الجمارك من ضمن اختصاصاتها الفعلية. وكان لدى محكمة الميناء موازين ومكاييل ومقاييس خاصة، استُخدمت لتقدير الرسوم الجمركية، أما تعاملها مع المسائل البحرية فجرى وفقاً للقوانين البحرية المتبعة.

وكانت الأحياء الإيطالية في صور، المرفأ التجاري الهام، آنذاك، بعد مرفأ عكا، تتمتع برخاء متصل، وتكوّن فيها باسم البروفانسيين مستوطنة جديدة مؤلفة من بوجوازيي مرسيليا، ومونبيليه، وسان جيل، وبرشلونة^(١).

وعرفت مدينة بيروت، بتأثير من أمراء أسرة إبلين^(٢)، رخاء وازدهاراً لعدة قرون. وأول هؤلاء الأسياد معروف، لأنه كثيراً ما ذكر في «قوانين بيت المقدس» باسم «سيد باروت الكبير». وخلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٢٢١ م إلى عام ١٢٢٣ م، منَحَ هذا السيد الجنوبيين^(٣)، والبنادقة^(٤)،

Charte du mois d'octobre 1187, in Méry et Guidon I, P. 190. (١)

Lib. Jur. I, 665 et S. 687 et S. (٢)

Taf. et Thom. II, 230 et ss., 232 et ss. (٣)

Méry et Guidon I, 287 et s. (٤)

والمرسيليين^(١) بسخاء حقوقاً وأملاكاً في مدينته؛ واتسمت علاقته بالجنوبيين بطابع صداقة ومودة، خاصة في شتاء عام ١٢٢٣م، وكان هؤلاء قد احترقت أملاكهم في عكا على يد البيزيين، فاشتد غيظهم لعدم حصولهم على التعويضات التي طالبوا بها، فهجروا المدينة، ورحلوا إلى بيروت التي أصبحت من بُعد المرفأ التجاري الوحيد الذي يرتاده تجارهم.

(٢) الصناعة والصنّاع

تميزت المناطق اللبنانية الخاضعة لنفوذ الفرنج - كما سائر مناطق الصناعات - باعتمادها صناعياً على المنتجات الزراعية، ومنها صناعة المنسوجات، والسكر، والصابون؛ كما اعتمدت على صناعات الأقمشة الحريرية، وصناعات الزجاج والمعادن، وعلى مواد أخرى.

انتشرت صناعة المنسوجات في معظم مدن الشام، ومنها: دمشق، وحلب، وحماه، وصور، وطرابلس، وبعلبك، وطبرية، وأنطاكية، ومنبج، والرصافة. وعُرفت صناعة الزجاج في صور، والخليل، والبورسليين؛ والصناعات الخزفية في صور، وكفرطاب، والصابون في نابلس، ويافا. أما صناعة

Annal. Jan. p. 150.

(١)

الورق، فقد اشتهرت بها مدن دمشق، وحلب، وطبرية.

والحقيقة أن الفرنج لم يستحدثوا أية أساليب صناعية جديدة في بلاد الشام، بل يمكن القول إن كل ما أمكنهم عمله - بنجاح - هو امتصاص الصدمة الحضارية التي واجهتهم، ونجحوا في إدارة الصناعات الشامية بنفس كفاءتها السابقة، الأمر الذي أسهم في تقوية الاقتصاد الفرنجي، وفي تلبية حاجات السكان.

وكانت صناعة المنسوجات من أبرز صناعات بلاد الشام؛ فاشتهرت مدن صور، وطرابلس، وأنطاكية، وأنطرسوس بالمنسوجات الصوفية الملونة. كما تطورت صناعة المنسوجات القطنية والكتانية، وازدادت نسبة المبيعات منها في أسواق المدن نتيجة لتوافقها مع مناخ الشام. وعلى الرغم من وجود العديد من صناعات الملابس القطنية والكتانية في معظم المدن الشامية، فإن ملابس الكتان المصنوعة في نابلس حازت شهرة عالمية.

وبلغ التأثير المحلي في الذوق الفرنجي شأواً كبيراً، إذ أعجب الفرنج بالملابس القطنية، وداوموا على ارتدائها لمواجهة حرارة الجو، وتقليداً للسكان المسلمين، الأمر الذي جعلهم يولون صناعات الأقمشة القطنية والكتانية اهتماماً كبيراً، ويشجعون الصناع الفرنج على تطوير صناعة المنسوجات

القطنية، وتحسين خاماتها، وتزيينها عن طريق رسم العديد من صور الحيوانات والطيور والأزهار عليها^(١).

وقامت في مدن صور، وطرابلس، وأنطاكية، مراكز لصناعة الملابس الحريرية^(٢)، التي جرى بيعها في أسواق المدن المحلية، وتصدير الفائض منها إلى الغرب الأوروبي.

وبلغ من نشاط صناعات المنسوجات الحريرية في الكيانات الفرنجية، أن سكان مدينة طرابلس، في القرن الثالث عشر، حسب ما ذكر هايد - اعتماداً على مذكرات الرحالة بركهارت Burkhard - زادوا من ١٤ إلى ٢٨ ألفاً، عمل منهم أربعة آلاف في صناعة الحرير^(٣). وكان في الحي البندقي في صور مصانع للحرير يديرها مسلمون.

واقترنت الصباغة بصناعة المنسوجات، وأدى توافر نباتات النيلة والفؤة والزعفران، وكذلك الأرجوان على شواطئ صور^(٤)، إلى ازدهار عمليات صباغة الملابس.

وامتهن العديد من اليهود الصباغة في كثير من المدن «الصلبية»؛ فقد احتكروا صباغة المنسوجات في مدينتي اللاذقية

(١) Assises, T. II, p. 179; Benjamin of Tudela, op. cit., p. 80; William of Tyre, op. cit., vol. II, p. 2.

(٢) ف. هايد، التجارة، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) William of tyre, op. cit., vol. II, p. 2

(٤) Benevenisti, The Crusades, pp. 385-386.

وطرابلس. وكان الصبّاغون يقومون بنقع القماش أولاً في الماء لينكمش، ثم يجهز لامتنعاص الصبغة. وبشكل عام، كان الفرنج يفضلون صيغ ملابسهم بالألوان الزاهية.

وكان في صور مصابيح للزجاج المعروف بشفافيته المتقنة، ويعود هذا إلى جودة المواد الأولية التي صنع منها (البوتاسيوم المستخلص من الرماد)، وإلى الرمال الناعمة الموجودة على السواحل والأنهار، فضلاً عن مهارة الصانع، وجُلّهم، عموماً، من اليهود^(١).

ونتيجة للانتعاش الاقتصادي الذي شهدته المدن الفرنجية، والذي تمثل في ازدياد ثروتها وارتفاع مستوى المعيشة فيها، فقد بالغت مدن مثل: صور، وعكا، وأنطاكية، وطرابلس، في صناعة المواد الترفيهية، فانتشرت فيها صناعة الأوعية الزجاجية المرصعة بالذهب، وكذلك الأكواب، والأواني الزجاجية والأباريق، والشمعدانات، والمحابر، فضلاً عن جميع الأدوات المستخدمة في الاحتياجات اليومية^(٢).

وبسبب الاتقان الكبير للصناعات الزجاجية في الدويلات

E., Rey, Les Colonies Franques de Syrie au XII^{eme} et XIII^{eme} siècles, Paris, 1883, pp. 225-226. (١)

Benevenisti, op. cit., p. 386. (٢)

الفرنجية، قام البنادقة بتقليد الصنّاع المحليين، واهتموا بإيجاد صناعات زجاجية بالبندقية، وهناك تطورت صناعة الزجاج البندقي، فانتشرت في أنحاء القارة الأوروبية^(١).

وللتأكيد على تأثير الصناعات الزجاجية الشامية في صناعة الزجاج في غرب أوروبا، يذكر أحد المؤرخين المحدثين أن الزجاج الموجود في كنيسة سان دنيس Saint Denis (شمال فرنسا)، الذي يعود إلى منتصف القرن الثاني عشر، أفضل في نوعيته من أقدم زجاج معروف في أوروبا، وهو موجود أيضاً في كاتدرائية لومانس Le Mans (شمال شرقي فرنسا)، ويعود إلى العام ١٠٩٠ م^(٢).

وعرف الفرنج السكر، لأول مرة، في مدينة طرابلس، بين أهم المنتجات الشامية مما جعلهم يوجهون اهتمامهم نحو زراعة قصب السكر، فكان يتم جمع المحصول من الحقول إلى المعاصر. واستخدموه غذاء للسكان، واتخذوا منه، في المستشفيات^(٣) مادةً تسهم في علاج المرضى. كما كان السكر من أهم المنتجات التي تمّ تصديرها إلى الغرب الأوروبي،

Holmes, op. cit., p. 16. (١)

C.R., Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897, pp. 241-245. (٢)

Assises, T. II, pp. 174-175; Rey, p. cit., p. 222. (٣)

طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين^(١).

واهتم الفرنج بصناعة استخراج زيت الزيتون، وقد تركزت معاصر الزيتون في القرى المحيطة بالمدن، وقاموا باستثماره بشكل جيد عن طريق تصديره إلى المدن الإسلامية الداخلية، أو إلى أوروبا؛ كما استخدموا زيت الزيتون في صناعة الصابون، فاشتهرت بها مدن، منها: أنطاكية، وعكا، ويافا، وطرابلس، ونابلس، بصناعة الصابون^(٢).

واهتمت السلطات الفرنجية بصناعات استخراج النبيذ، من أجل الاستهلاك اليومي للسكان، ومن أجل استخدامه في الشعائر الدينية في الكنائس والأديرة، بالإضافة إلى عمليات تصديره إلى غرب أوروبا^(٣).

ومثلت صناعات النبيذ في الكيانات الفرنجية إحدى الموارد الثابتة للدخل العام^(٤)، وعمل الصنائع المسيحيون مع الفرنج في هذه الصناعة، التي انتجت النبيذ، من النوع الجيد، وعُرفت بعض الأماكن بنبيذها الممتاز، من أشهرها: أنفه

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠؛

N. Ziada, Urban Life in Syria the Early Mamlukes, p. 133

J. Prawer, Crusaders Institutions, p. 128. (٢)

Rey, op. cit., pp. 228-230. (٣)

J. Richard, Agriculture in Frankis, in setton, vol. V, pp. 260-261. (٤)

Nephtin التابعة لكونتية طرابلس، وقرية Bezel القريبة من بيت لحم.

استمر تصدير النبيذ الشامي إلى أوروبا، بعد تصفية الكيانات الفرنجية في الشرق، فبلغت إحدى شحنات النبيذ الطرابلسي على متن إحدى السفن الجنوبية حوالي عشرة أطنان^(١). ومما لا شك فيه أن وجود هذه الكمية الهائلة من النبيذ على متن سفينة واحدة يثبت مدى جودة النبيذ المحلي، وتفوقه على النبيذ الأوروبي، ويشي بمدى حجم الصادرات من النبيذ الشامي إلى الموانئ الأوروبية.

ونظراً لتوافر خامات الحديد في جبل بيروت^(٢)، حرص الفرنج على استخراجها وتنقيتها، واستخدامها في صناعة الأسلحة والدروع، بشكل مكثف، لتأمين احتياجاتهم العسكرية. كما استخدم الفرنج الحديد في صناعة الأبواب والخزانات الحديدية، وفي تزيين المنازل، وصناعة المحاريث اللازمة للزراعة.

وزيادةً على ما تقدم، فقد عرفت غير مدينة لبنانية من المدن الخاضعة لنفوذ الفرنج، عدداً وافراً من الصناعات

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٨٤.

(٢) Prawer, Crusaders Institutions, p. 128; Holmes, op. cit., p. 13.

الأخرى، وبخاصة صناعة الحلبي، وأدوات الزينة، من الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة، فضلاً عن بعض المشغولات اليدوية ذات الدلالة الدينية، ومنها: الصلبان، والقناديل، والتماثيل الدينية الصغيرة، والكتب المقدسة المرصعة بالذهب والمعاج.

بشكل عام، يمكن القول إن الصناعات التي شهدتها الكيانات الفرنجية في بلاد الشام قد أسهمت في انتعاش الحركة التجارية، وساعدت على قيام عمليات التبادل التجاري مع المدن الإيطالية، وقامت الصناعات السابقة بتوفير الكثير من الإيرادات لسلطات الفرنج عن طريق فرض الضرائب عليها، أو عن طريق بيع الملك حقوق احتكاره لبعض الصناعات.

(٣) الأسواق

مثلت أسواق المدن الفرنجية المحطة الأخيرة لرحلة البضائع الشرقية، التي كان التجار الإيطاليون والمسلمون يحضرونها من المدن الإسلامية بحراً، عبر الموانئ الفرنجية، وبراً، عبر طرق القوافل القديمة - الجديدة - وكذلك البضائع التي قامت سفن الإيطاليين بجلبها من موانئ جنوب أوروبا وغربها.

والحقيقة أن السوق في المدينة الفرنجية كان يعني الكثير

للتجار الأوروبيين، وللسكان المحليين؛ ويكفي أن تجار إيطاليا، وباقي دول أوروبا المطلة على البحر المتوسط، حصلوا على درسهـم التجاري الأول من التجار الشوام، ممن كانوا يتعاملون معهم على الشواطئ الشرقية للمتوسط^(١).

واتساقاً مع الوضع السياسي والاقتصادي للكيانات الفرنجية في الشرق، كان هناك نوعان من الأسواق المدنية: الأسواق الملكية، وهي الأسواق التابعة للسلطة المركزية، الممثلة في ملك بيت المقدس، (وكذا الأسواق الفيوـدالية التابعة لأمرء الكونتيات والبارونيات)، والأسواق الإيطالية، القائمة داخل القومونات الإيطالية، التي مثلت إحدى ثمرات انخراط المدن الإيطالية في «الحركة الصليبية».

فرض التركيب السياسي للمدينة الفرنجية فارقاً كبيراً في طبيعة أسواق الكيانات الفرنجية. ففي حين تخصصت الأسواق التابعة للملك والأمراء اللاتين في بيع وشراء المواد الغذائية والسلع الضرورية لحياة السكان الفرنج^(٢)، وبخاصة الفرسان، فقد وجّه التجار الإيطاليون اهتمامهم الأكبر نحو السلع والبضائع التجارية التي كان يتم جلبها، بكميات ضخمة، من

J. praver, the latin kingdom, P. 404.

(١)

Ibid., p. 412.

(٢)

أسواق المدن الإسلامية، ومن مدن الغرب الأوروبي. وقد أدى ذلك، بالضرورة، إلى تنوع السلع والبضائع الموجودة في أسواق القومونات، وهو أمر لم يحصل في أسواق الملك والأمراء، مما انعكس ارتفاعاً في أسعار هذه السلع في أسواق الملك، بسبب النفقات المترتبة على شحنها إلى أسواق القومونات. كما أن أسواق القومونات الإيطالية، كانت تعتبر أسواقاً لبيع البضائع بالجملة، ولممارسة نشاط التصدير والاستيراد.

لذلك، سعى ملوك الفرنج حثيثاً، إلى ثني السكان عن التوجه نحو الأسواق الإيطالية، وقاموا، في الوقت نفسه، بتشجيع التجار الشوام على ارتياد الأسواق الملكية^(١). وقد فرض هذا الوضع على السكان ارتياد الأسواق بشكل مستمر، من أجل الحصول على إمداداتهم الغذائية. وفي الوقت الذي كان التجار الإيطاليون والفرنج يشترون فائض الإنتاج الزراعي^(٢)، هذا الفائض لدى إقطاعات الفرق العسكرية كان يتم تخزينه لمدة عام أو أكثر كإجراء احتياطي.

وكان لكل مدينة أسواقها الخاصة، التي تراوحت ما بين

R. Smith, R. The Feudal, p. 75.

(١)

Burchaud, A Discription of The Holy Land, in *PPTS*, vol XI, (٢)
London, 1896, p. 16.

الأسواق الدائمة والأسواق الموسمية. ولم يختلف الأمر بين المدن الساحلية والمدن الداخلية إلا في حركة التجارة؛ فقد حظيت المدن الساحلية بنشاط تجاري مكثف في الأسواق، بسبب وجود الموانئ وما تبعها من عمليات تصدير واستيراد، وتَمَرَّكُز معظم القومونات التجارية الإيطالية في المدن الساحلية. إلا أن هذا الأمر لم يمنع المدن الداخلية من إقامة أسواقها لتلبية احتياجات السكان، وبخاصة إذا ما تمتعت المدينة بشهرة تجارية، أو دينية، كما هو الحال في القدس، والناصرية، وبيت لحم.

ونتيجة مباشرة للدور التجاري للميناء في المدن الفرنجية الساحلية، فقد تركزت الأسواق في مدن عكا، وصور، وطرابلس، وبيروت، وأنطاكية، وغيرها. على أن أشهر الأسواق جميعاً أسواق مدينة عكا، ويعود هذا إلى المكانة التجارية الرفيعة التي حظيت بها المدينة بوصفها الميناء الأول لمملكة بيت المقدس اللاتينية، وقاعدة المملكة اللاتينية الثانية، وبخاصة بعد اتساع مساحتها، وازدياد أهميتها السياسية والتجارية.

وبشكل عام، نشطت أسواق المدن الساحلية اللبنانية نتيجة استيراد التجار الإيطاليين والفرنج السلع التجارية من المدن الإسلامية الداخلية، ومنها: دمشق، وحلب، والقاهرة؛

فجلبوا الملابس والمنسوجات والسماك المجفف من دمشق،
والقاهرة؛ واستوردوا النبيذ والمنسوجات من المدن الفرنجية
الأخرى، كأنطاكية، وطرابلس.

ففي مدينة طرابلس وجدت الأسواق الفرنجية في أماكن
الأسواق الإسلامية السابقة نفسها، وشهدت المدينة ازدهاراً
تجارياً يعود إلى نشاط الإيطاليين في الميناء، وإلى نقل هؤلاء
التجار السلع الشرقية - عن طريق جلبها براً من حلب - إلى
أسواق المدينة، ثم تصديرها إلى أوروبا عبر ميناء طرابلس.

واشتهرت أسواق طرابلس في زمن الفرنج، ببيع
المنتجات الغذائية، كالحبوب وغيرها، فضلاً عن بيع المنتجات
المحلية المعروفة بها، ومنها: الصناعات الزجاجية والحربية،
وقصب السكر^(١). فضلاً عن ذلك، فقد وجد في المدينة
الأسواق التي لم تختلف عن باقي أسواق المدن الخاضعة لنفوذ
الفرنج، ومنها: «سوق اللحم»، و«سوق السمك»، و«سوق
الصباغة»، و«سوق الصابون»^(٢).

ونتيجة للامتيازات التجارية التي كان يحصل عليها تجار
جنوا، والبندقية، ومرسيليا، في بيروت، امتلأت أسواق المدينة

Smith, ., The Feudal. p. 96.

(١)

Ibid., P. 18.

(٢)

بالمنتجات المحلية، ومنها: الحبوب، والزيت، والخزف، والخمور، والزجاج، والصابون، ومواد الصباغة، فضلاً عن السلع الشرقية التي جلبها التجار الإيطاليون والمسلمون من دمشق إلى أسواق بيروت، ومنها: التوابل، واللآلئ، والأحجار الكريمة، والحرير، والصوف، والكتان، ونبات النيلة؛ كما أصبحت مدينة بيروت، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، مستعمرة جنوبية مزدهرة تجارياً^(١).

وبشكل عام، سمح الفرنج للسكان المحليين بإقامة أسواقهم الموسمية في فصل الصيف؛ من ذلك، السوق الموسمي بالقرب من صيدا. وكان التجار وعمال الصباغة، في المناطق المجاورة، يتوجهون إلى صيدا للاشتراك في السوق، وكانوا يعودون إلى مدنهم بعد الانتهاء من بيع السلع والبضائع التي جلبوها معهم.

ويمكن اعتبار الأسواق الفرنجية مراكز اقتصادية واجتماعية، نظراً لوجود طبقات المجتمع الفرنجي ضمن عمليات البيع والشراء؛ كما يمكن القول بأن كل مدينة احتفظت بأسواقها الخاصة الدائمة، والموسمية. وفي حين انقسمت

Benjamine of Tudela, The Travels of Rabbi Benjamine of Tudela, (١) London 1848, p. 81.

الأسواق الموسمية إلى أسواق لتلبية حاجات الحجاج، أو أسواق سنوية كبرى، فإن الأسواق اليومية قامت بدور كبير في إمداد سكان الكيانات الفرنجية بالمواد الغذائية الضرورية، لدرجة أن اشتقاق أسماء الأسواق قد تأتى من نوع النشاط في السوق، مثل «سوق الحبوب»، و«سوق اللحوم».

وكما هو الحال في الأسواق الإسلامية بالشام، فقد تألف تجار الأسواق الفرنجية من ثلاث طوائف: تاجر التجزئة، وتاجر الجملة، والتاجر الأكبر الذي يحتكر لنفسه عملية تصدير السلع والبضائع. وكان لبعض التجار وكلاء عنهم في الأسواق الفرنجية والإسلامية^(١)، كما افترض بعض التجار الأموال، من تجار آخرين، لدواعٍ تجارية.

ولعل المؤرخ جعفر بن علي الدمشقي أفضل من يحدثنا عن أنواع التجار في أسواق الشام في أيام الفرنج. فهو تاجر مؤرخ، عاش في طرابلس في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. يروي الدمشقي أن تاجر التجزئة كان يذهب إلى أسواق المدن المختلفة، وبحوزته قائمة بأسعار جميع البضائع التي يختلف سعرها من بلد آخر، وقائمة أخرى بالضرائب المفروضة على البضائع في الأسواق المختلفة، وكان عليه ألاَّ

R. Smith, The Feudal, p. 68.

(١)

يتأخر في الوصول إلى أسواق المدن، حتى لا تفسد بضاعته^(١).

أما تاجر الجملة فكان - وفق ما ذكره الدمشقي - يشتري السلع في موسمها، ثم يقوم بتخزينها إلى أن يرتفع ثمنها، نظراً لندرتها في الأسواق، كما كان يسارع إلى بيع بضاعه عندما يتوقع إمكان انخفاض أسعارها؛ وكان عليه أن يتتبع باستمرار، أحوال السلع والبضائع وكمياتها في أسواق المدن الأخرى؛ ولم يكن يدفع ثمن ما يشتري من سلع مرة واحدة، بل يقوم بتقسيط ثمنها^(٢).

واستخدم التجار أسلوب المقايضة، الذي عرفته الأسواق الأوروبية منذ القرن الثامن عشر^(٣)، كما عرفت الأسواق الإسلامية أيضاً، بديلاً لنقص العملة، وطريقةً مثلى للربح المشترك؛ فكان التجار يتقايضون السلع التي جرى العرف التجاري على المقايضة بها، كالحبوب، والخيول والماشية.

وأعلن التجار عن سلعهم بواسطة المُنادين، الذين كانوا

(١) جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوريحي، ط ١، الاسكندرية، ١٩٧٧، ص ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) Lopez, The Trade of Medieval Europ In *CER*, vol. II. London 1952, pp. 25-26.

يجوبون الشوارع ليعلموا السكان بالسلع المراد تسويقها، وبمكان بيعها، لكي يصل إليها المشتري بسهولة^(١). على أن السماسرة قاموا بمهمة الإعلان عن السلع والبضائع على نسق أكثر تنظيماً، فكان عملهم يتلخص في إعلام المشتري بالسلعة وإحضاره للشراء من التاجر؛ ومن المرجح أنهم قد اهتموا كثيراً بمسألة البيع بالتجزئة^(٢).

وفيما يتعلق بالموازين والمكاييل المستخدمة في أسواق الشام قبيل الاحتلال الفرنسي، فقد استعمل التجار المسلمون العديد منها، مثل الموديوس Modius^(٣) الروماني، وكذلك الأوقية، والرطل، والصاع، والقسط^(٤)، وهو الأمر الذي تأكد بعد استيلاء الفرنج على مدينة صور ١١٢٤، حيث وجد هؤلاء خمسة مكاييل لوزن القمح والحبوب في المدينة^(٥).

ويمكن الاستنتاج أن الفرنج قد استخدموا الموازين والمكاييل السابقة، بأسمائها العربية نفسها، فضلاً عن موازينهم ذاتها المعتمدة في مواطنهم الأصلية في أوروبا.

(١) Holmes, Medieval Trade in Mediterranean world, p. 85.

(٢) Cl. cahen, Orient et Occident, p. 326.

(٣) مقياس روماني للحبوب.

(٤) Le strange, Palestine under The Muslims, Beirut, 1905, pp. 48-49.

(٥) William of Tyre, vol. II, p. 21.

ونظراً لدور الأسواق في عملية الانتعاش التجاري
للكيانات الفرنجية، فقد أوجد الفرنج نظاماً صارماً لإدارة
الأسواق، كان على رأسه الفيكونت Visconte^(١)، لضمان حسن
الإشراف على حركة السوق، وإقرار الأمن فيها^(٢).

كما تمَّ إيجاد محكمة السوق (Cour de la Fonde) لفض
المنازعات التجارية في الأسواق.

يساعد الفيكونت في النهوض بمهمته موظف كبير يدعى
المحتسب، ووظيفته مقتبسة من نظم الأسواق الإسلامية^(٣).
يطوف المحتسب في الأسواق صباحاً، يرافقه رجال الشرطة،
لملاحظة السلع الفاسدة والحيلولة دون بيعها، ومراقبة المكايل
والأوزان^(٤)، وبخاصة الخبز، والنبذ، واللحوم، والأسماك؛
وملاحقة الباعة الذين يقومون برفع الأسعار. كما كان

(١) حول وظيفة المحتسب في الأسواق الإسلامية، راجع: القلقشندي،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، ص ص ٤٦١، ٤٦٢، ج
١٢، ص ٤٧٢؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
(الخطط) ج ١، ص ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) راجع: R. Smith, The Feudal Nobility, p. 87.

(٣) راجع: Assises de Jérusalem, T. II, pp. 238, 243-244.

(٤) رأفت التيراوي، المسكوكات الصليبية في مصر والشام، رسالة ماجستير
غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ٣.

المحتسب ورفاقه يراقبون الأسواق ليلاً، لمنع حوادث السرقة والإخلال بالأمن، ويمكن أن يقوم الفيكونت نفسه، بهذا الأمر، وذلك بشكل تبادلي مع المحتسب.

(٤) النظام النقدي

انقسم النظام النقدي الفرنجي إلى قسمين أساسيين، النقود الذهبية والفضية عالية القيمة، التي جرى ضربها تقليداً للنقود الذهبية والفضية الفاطمية عالية القيمة، ونقود برونزية ونحاسية ذات كتابة يونانية، أو لاتينية، أو فرنسية^(١). وقبل أن يكون للفرنج عملتهم الخاصة بهم، فإنهم قاموا بتقليد النقود الذهبية والنحاسية الخاصة بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م)، ونقود الخليفة الأمر بالله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م)^(٢).

ومقارنةً مع الدينار الإسلامي القديم الذي احتوى على ٤,٢٥ غرام، من الذهب الخالص تقريباً، فإن الدينار الفاطمي المتأخر، الذي قام الفرنج بتقليده كان أقل قيمة، وأثقل وزناً، وأعلى من حيث حجم الذهب من العملة الفرنجية التي سميت

(١) رأفت التيراوي، المسكوكات الصليبية، ص ٥، ١٧، ٢٢٨.

(٢) J. Prawer, The Latin Kingdom, p. 385.

بالبيزنطات الإسلامية (Bisantinus Sarracenus)^(١).

ونتيجة لعملية تقليد النقود الفاطمية، فإن البيزننت الفرنجي كان يماثل الدينار الفاطمي من حيث الشكل العام فقط، لكن الكثير من الكلمات والحروف المنقوشة لم تكن مفهومة بسبب تقاطع كلماتها، ووجود العديد من الدوائر والخطوط العمودية فيها. وكان ينقش على النقود الفرنجية الكتابات المسجلة على النقود الفاطمية، ومنها لفظ الجلالة «الله»، واسم النبي «محمد»، وأسماء الخلفاء، ودور السك الإسلامية والتواريخ الهجرية، وهي الكتابات نفسها التي كانت تنقش على النقود العربية^(٢).

وقام الفرنج، أيضاً، بتقليد الدراهم الأيوبية التي أمر بضربها الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي (١١٨٦ - ١٢١٦ م). وفضلاً عن ذلك، سك الفرنج عملات فضية

J. Prawer, The Latin, P. 387.

(١)

ومع ذلك، فقد اضطر الفرنج، بعد حين، إلى إجراء تعديلات على الكتابات المسجلة على النقود، باعتماد العبارات المسيحية مثل: «يتجسد الأب، والابن والروح القدس»، وذلك احتذاء بقرار البابا إنو سنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤ م) الذي قضى بتحريم التعامل بالعملة الفرنجية ذات النقوش الإسلامية.

J. Prawer, op., p. 387.

(٢)

ونحاسية، استخدموها في عملياتهم التجارية البسيطة^(١).

ومن المفيد الإشارة، في هذا السياق، إلى أن سك النقود الذهبية كان احتكاراً لملك بيت المقدس، على الرغم من مشاركة الكونتات الكبار، أسياذ طرابلس وأنطاكية والرها بسك النقود^(٢)، واحتفاظ البنادقة بدار للضرب في قومونتهم في صور؛ وإن العملات الفرنجية قد اعتمدت على البيزنطيات الذهبية، وعلى الدنانير الفضية والنحاسية أيضاً، فضلاً عن أنصاف الدنانير؛ وقد أثر استخدام هذه العملات في عمليات الصيرفة والائتمان ونقل الأموال، التي نشطت بفعل الازدهار التجاري لأسواق العصور الوسطى في حوض البحر المتوسط.

(١) Metcalf, *Coinage of The Crusades and The Latin East in Ashmolean Museum*, London, 1983, p. 9.

(٢) Holmes, op. cit., P. 7.

الفصل الخامس

حركة النزوح والهجرة والتبشير والامتيازات الأجنبية

أولاً: حركات النزوح السكانية:

نتج عن حالة التردّي التي عانى منها الفلاحون، في المناطق الريفية نزوح سكاني كثيف من الأرياف باتجاه المدن، حيث ظروف الحياة أفضل نوعاً، وقيمة الأجر أكثر ارتفاعاً، وبخاصة في حقل الخدمات التجارية التي ازدهرت في فترة وجود الكيانات الفرنجية في الشرق، عكسها التبادل التجاري البحري بين المدن الساحلية لضفتي المتوسط. فشهدت مدن الساحل الشامي حركة اقتصادية ملحوظة، الأمر الذي زاد من وتيرة النزوح من المناطق الريفية الداخلية والجبلية إلى السواحل.

ورافق الاحتلال الفرنجي للمناطق الساحلية اللبنانية انكفاء المسلمين عن الساحل إلى الداخل، ما أحدث فراغاً سكانياً في المدن الساحلية ملأه المسيحيون المحليون الذين لعب بعضهم

دور الوسيط التجاري بين الفرنج والداخل الشامي، حيث النفوذ الإسلامي، فاستقر المسيحيون في المدن الساحلية التجارية، ومنها: طرابلس، والبترون، وجبيل، وبירות، وصيدا، وصور^(١).

وبعد سقوط مملكة اللاتين في بيت المقدس، ولحماية السواحل من هجمات الفرنج البحرية، بادر المماليك إلى إحداث تغيير سكاني في مدن الساحل اللبناني وفي محيطه، لا سيّما في المنطقة الجبلية المشرفة على السواحل، فأسكنوا فيها قبائل عربية إسلامية (من أبرزها بنو بحتر التنوخيون)، وقبائل إسلامية غير عربية (قبائل من التركمان وغيرهم) لمراقبة السواحل من جهة، وللفصل بين الفرنج والمسيحيين المحليين. فتج عن ذلك حضور إسلامي كثيف في مدن الساحل اللبناني، وانحسار الوجود المسيحي، عموماً، والماروني خصوصاً، عن السواحل نحو المناطق الجبلية، حيث التحق بهم بعض الفرنج ممن لم تتوفر لهم سبل الخروج من البلاد، أو الفرنج الذين ألفوا التقاليد والعادات المشرقية، فاحتموا جميعاً بالمسيحيين في جبال لبنان الشمالية، واعتنقوا المارونية بعد استيطانها الجبل، وآثروا البقاء في الشرق^(٢).

(١) أحمد حطيط، تاريخ لبنان الوسيط/ دراسة في مرحلة الصراع المملوكي - الصليبي، دار البحار، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧.

وفي ذلك، يقول المؤرخ فيليب حتي^(١) نقلاً عن المستشرق رستاليبر René Ristelhueber^(٢): «ليس غربياً، اليوم، مشاهدة عدد من الناس من ذوي العيون الزرق، والشعر الأشقر، في مدن مثل إهدن في شمال لبنان، وبيت لحم، والعريش. وهناك أسر أغلبها نصرانية، مثل عائلة كرم، وفرنجية، وصليبي، قد حفظت تقاليد تحدرها من أسلاف فرنج. ويقال إن أسماء بعض الأسر الأخرى، كصوايا مأخوذة من سافوا Savoie، والدويهي من ده دوي De Douai».

ويقلل المستشرق Claude Cahen^(٣) من قيمة ما ذكره فيليب حتي ورينيه رستاليبر، ويرى أن بعض خصائص السحنة «الآرية» (الشعر الأشقر، والعيون الزرق)، وكذلك أسماء العائلات من أصل فرنجي، التي استند إليها المؤرخان، في ما قرّراه، لا تشكل بحد ذاتها قرائن دامغة لإثبات الأصل الأوروبي لسكان بعض المناطق اللبنانية، مؤكداً ضرورة تجنب مثل هذه المقاربات في مجال الدراسات المتصلة بالتفاعلات الاجتماعية والثقافية بين بني البشر. وعليه، فإن ما ذهب إليه

(١) فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ترجمة ادوار جرجي وجبرائيل جبور، ج ٢، ط ٤، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٧٩٢.

(٢) René Ristelhueber, Traditions françaises au Liban, pp. 106.

(٣) Claude Cahen, Orient et Occident au temps des Croisades, Paris, 1983, p. 208.

كاهين، في هذه المسألة الشائعة في كتابات العديد من المؤرخين اللبنانيين، هو ما نميل إلى ترجيحه.

ثانياً: قدوم أقوام عربية وإسلامية إلى الشام وتأثيرها في ديمغرافية المناطق اللبنانية

تمثلت أولى ردات الفعل على حركة الغرب العسكرية باتجاه الشرق، ونجاحها في إقامة الكيانات اللاتينية فيه، بوصول جماعات إسلامية، عربية، وإيرانية، وكردية، وشركسية، وتركية، إلى بلاد الشام، ومنها المناطق اللبنانية، آتية من شبه الجزيرة العربية ومن أواسط آسيا، للإسهام في مجاهدة الفرنج. وقد نجحت هذه الجماعات القبلية في القضاء تبعاً على الكيانات الفرنجية، وإزالة الوجود الفرنجي من الشرق، بعد مخاض عسير، بدأ مع عماد الدين زنكي الذي أجهز على أولى الإمارات الفرنجية في الرّها، عام ٥٩١/١١٢٨، واستمر في عهد أخيه نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين، لتسقط الكيانات اللاتينية على يد سلاطين المماليك الثلاثة: الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون وولده الأشرف خليل^(١).

(١) لمزيد من المعلومات حول تصفية الكيانات التي تشكلت منها المملكة اللاتينية في بيت المقدس، راجع: أحمد حطيط وآخرون، لبنان في تاريخه وتراثه، فصل «لبنان في عهد الفرنجة» (١٠٩٨ - ١٢٩١ م)، مركز الحريري الثقافي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ص ١٩٤ - ٢٠٢.

لقد أحدث وصول أولئك الأقوام، انقلاباً في الأوضاع السياسية والاجتماعية والديمقراطية في المشرق الإسلامي، وكان من آثاره البعيدة زوال الخلافة العباسية بعد حكم دام حوالى خمسة قرون، وظهور كيانات سياسية جديدة في مصر والشام، وفي آسيا الصغرى؛ من ذلك، قيام سلطنة بني عثمان الأتراك، الذين نجحوا في القضاء على الإمبراطورية البيزنطية باحتلالهم القسطنطينية عام ١٤٥٣، ليتوسعوا، بعد ذلك، في غير اتجاه، فبسطوا نفوذ دولتهم الفتية على أجزاء واسعة من القارة الأوروبية، وبلاد الشام، والديار المصرية، والحجاز، واليمن؛ محدثين، بذلك، تحولات نوعية في البنية المجتمعية والعقدية للسكان، ومن بينهم سكان المناطق اللبنانية، ما تزال آثارها واضحة للعيان حتى يومنا هذا.

ثالثاً: هجرات مسيحية لبنانية إلى جزيرة قبرص

بعد وصوله وجمعه إلى قبرص، عام ١٢٩٢م، حرص غي دو لوزنيان Guy de Lusignan، آخر ملوك اللاتين في بيت المقدس على توجيه حملة دعائية كبيرة في أرجاء أوروبا، وبخاصة في فرنسا، لاستجلاب اللاتين إلى قبرص، ولا سيما الفرسان، مقدماً لهم إغراءات عدة، منها ما هو ديني، يعود إلى ما في الجزيرة من مقدسات مسيحية ورفاة القديسين، ومنها ما هو دنيوي، يتمثل بوعد قطعه ملك قبرص على نفسه، ويتمثل

بمنح الأراضي المنتزعة من أرستقراطية قبرص، ومن كنيستها،
للأسياد الفرنج القادمين إلى الجزيرة، مقابل التزامهم الدفاع عن
أسوار المدن الرئيسية، ومنها: نيقوسيا، وليماسول،
وفماغوستا، وبافوس، وكرباس، فضلاً عن مهام عسكرية
أخرى^(١).

وتذكر بعض الأدبيات التاريخية أن الملك غي دو
لوزنيان وجه دعوة إلى مسيحي الشام للالتحاق به في مقره
الجديد، واعدأ إياهم بمنحهم امتيازات شبيهة بتلك التي
حصلوا عليها في مملكة بيت المقدس اللاتينية، ومن أهمها:
إعفاؤهم من ضريبة الرؤوس (الجزية) ومن نصف الرسوم
المتوجبة على صفقاتهم التجارية^(٢). واستجابة لدعوة الملك
اللاتيني، شهدت جزيرة قبرص بداية هجرات مسيحية منظمة
حيناً، وبمبادرات فردية أحياناً. من هنا، يمكننا الحديث عن
وجود مسيحيين على اختلاف مذاهبهم، عرفوا بـ «السوريين»^(٣)

(١) L. Makhairas, Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, Oxford, 1932, T. I, pp. 24-25; De Mas-Latrie, Histoire de Chypre, T. I, pp. 8-9.

(٢) Makhairas, Ibid., T. I, pp. 24-25 et T. II, p. 153.

(٣) يقصد بالسوريين المسيحيون التابعون للطقس اليوناني والناطقون باللغة العربية، ويعرفون، عموماً، بالملكيين. أما في الاستخدام القانوني، فيراد بهذا المصطلح، بالإضافة إلى الملكييين، طوائف النساطرة، واليعاقبة، والموارنة.

في الجزيرة، منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري^(١).

كما أن سياسة التضييق والملاحقة التي اعتمدها المماليك في بلاد الشام، ومنها المناطق اللبنانية، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث والرابع عشر الميلاديين، التي استهدفت المسيحيين المحليين والمسلمين من غير القائلين بمذاهب أهل السنة الفقهية، أسهمت في تشجيع دفعات جديدة من الهجرات المسيحية إلى قبرص، فاستقر المهاجرون المسيحيون في القرى والداكر وفي المدن القبرصية، وبخاصة في مدينة فماغوستا؛ ويشهد على ذلك ظهور الكنائس الشرقية، في أنحاء مختلفة من جزيرة قبرص، بدءاً من القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري.

لم يختلط المسيحيون الشاميون الوافدون إلى قبرص، عموماً، بالسكان المحليين، وفضّلوا، بمعظمهم، ارتياد المرتفعات الجبلية، الواقعة شمال نيقوسيا، وانتشروا في اثنتين وسبعين قرية، محتفظين بتقاليدهم وعاداتهم وعلاقاتهم

(١) M.L. De Mas-Latrie, Histoire de l'Ile de Chypre sous le règne des princes de la maison de Lusignan, Paris, MDCCCLXI, Vol. I, pp. 106-111.

الأسرية^(١). وكان من الطبيعي أن يغلب الطابع الفلاحي على هذه الجماعات، فعملوا بالزراعة، وخاصة زراعة قصب السكر التي يعود إليهم الفضل في إدخالها إلى جزيرة قبرص^(٢).

إلاً أن ما تقدّم من تفضيل المسيحيين السوريين السكن في الأرياف، لا يعني أنهم أنفوا من العيش في المدن القبرصية. فثمة ما يشير إلى إقامة العديد منهم في بعض المدن، ولاسيما الساحلية منها، وهي المدن التي شهدت حركة تجارية لافتة، آنذاك، بفعل العلاقات التجارية النشطة بين الشرق والغرب، وما كانت تمثله جزيرة قبرص في القرون الوسطى، وما تزال، من موقع جغرافي ممتاز في شرق المتوسط، حتى بدت مدينة فماغوستا، المركز التجاري الهام على البحر المتوسط، لكثافة سكانها السوريين الناطقين بالعربية، وكأنها مدينة شامية، حسب تعبير جان ريشار^(٣)؛ ويتوافق ما ذهب إليه هذا الأخير مع ما ورد في مذكرات أحد رجال الدين الألمان الذي مر بفماغوستا وهو في طريقه إلى فلسطين، عام ١٣٤١م، فذكر أنه رأى في مرفأ هذه المدينة القبرصية، وفي طرقاتها وأزقتها، حشوداً كبيرة

(١) Revue de la Terre Sainte, années 1875-1976, pp. 111 et 118.

(٢) Jean Richard, Le peuplement latin et syrien en Chypre au XIII^e siècle, in: «Croisés, Missionnaires et Voyageurs», p. 8.

(٣) Ibid. p. 168.

من أجناس مختلفة، وتعرّف من بينهم إلى تجار سوريين^(١)؛ ويؤكد ذلك حجم المعاملات العائدة لهؤلاء السوريين، المنجزة لدى كتاب العدول الجنوبيين في المدينة، والمتعلقة بأوضاعهم وعلاقاتهم القانونية؛ فمن السوريين مَنْ عمل في التجارة، ولاسيما النساطرة، الذين جمعوا الثروات الطائلة؛ ومنهم من تعاظم الحرف، والصنائع المختلفة^(٢).

ومما يدلّ على مكانة السوريين المرموقة في جزيرة قبرص أن بعض هؤلاء توصل، خلال القرن الخامس عشر الميلادي، إلى تولي المناصب الرفيعة في المملكة اللاتينية في الجزيرة. من هؤلاء: أفراد من أسرة الصلاح Les Salah، ممن تعاقبوا على رئاسة الديوان الملكي؛ كما تولى قيادة الحرس الوطني سوريون من أسرة البيبي Les Bibi، وأسرة الغول Les Goul، وأسرة دانيال Les Daniel^(٣).

ويذكر المؤرخ اليوناني مكيراس Makhairas^(٤) أن الأسر، آنفة الذكر، كانت موضع رعاية خاصة من البنادقة

(١) Cf. Assises de Jérusalem, T. I, pp. 53 et suiv.; De Mas-Latrie, Histoire de l'Ile de chypre, pp. 237-238.

(٢) J. Richard, op. cit., p. 168.

(٣) De Mas-Latrie, op. cit., T. II, pp. 8-9.

(٤) L. Makhairas, Recital, T. II, p. 355.

والجنوية، بوصفها عائلات إيطالية من أصول سورية (بنادقة بيض، وجنويون بيض) Des veniciens blancs et des Gênois blancs. وعرفت مدينة نيقوسيا بأنها مقر «ريس السوريين»^(١)، وكان فيها، كما في فماغوستا، محكمة خاصة بالسوريين، أطلق عليها اسم «محكمة الريس». ومع ذلك، فليس لدينا - حسب ما وصل إليه اطلاعنا - ما يؤكد بصورة حاسمة استخدام مصطلح «الريس» في قبرص، وهو مصطلح شاع استخدامه في الشام، في زمن حكم الفرنج في تلك البلاد، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وتجدر الإشارة، في هذا السياق، إلى ندرة المعلومات المستمدة من المصادر المكتوبة أو الأثرية التي يمكن الركون إليها للوقوف على النشاطات الدينية للجماعات السورية المقيمة في قبرص قبل القرن الرابع عشر الميلادي. وابتداء من هذا القرن، يمكننا أن نتحدث على وجود الكنائس النسطورية والأرمنية، والملكية، واليعقوبية، والمارونية، في الجزيرة، فضلاً عن بعض الأديرة، ومنها دير في كوتزوفندي Koutzovendi تابع للبطريركية المارونية، وأماكن أخرى تحمل أسماءها دلالات شرقية، مثل: سريانوخوري Syrianokhori،

J. Richard, op. cit., p. 171.

(١)

وأرمينوخوري Armenokhori^(١).

ويبدو أن السوريين، على اختلاف مذاهبهم، كانوا عرضة لضغوطات المرجعيات الدينية اللاتينية، كي يغادروا معتقداتهم ويعتبقوا مذهب السلطة الديني. من ذلك ما جرى عام ١٣٣٨م، حين دعا مطران نيقوسيا الجماعات المسيحية الشرقية إلى التخلي عن معتقداتها واعتناق الكثلكة، ورعى من أجل ذلك مجمعا كنسياً، عام ١٣٤٠ م، حضره المطارنة اللاتين، واليونان، والموارنة، والأرمن، ورؤساء اليعاقبة والنساطرة، للتداول بهذه المسألة، لكن الجمع لم يسفر عن نتائج حاسمة لمصلحة الكثلكة^(٢).

وإلى جانب السوريين الوافدين إلى جزيرة قبرص، ثمة جماعة من التركوبول Les Tircopoles^(٣)، وهم مقاتلون سوريون مرتزقة، ينتمون إلى فئة الفرسان الخفيفي الحركة في جيش الفرنج - بعضهم من المسلمين، أو من المسلمين المتنصرين - انتقلوا إلى قبرص، وانخرطوا في عداد جيشها، فأقطعوا الأراضي في مقابل تأديتهم الخدمة العسكرية.

(١) J. Richard, op. cit., pp. 157 et 169.

(٢) J. Richard, La papauté et les missions d'Orient au moyen-âge, Rome et Paris, 1977, pp. 196, 199 et 370.

(٣) Delaville Le Roulx, Cartulaire générale de l'Ordre des Hospitaliers, T. I, Paris, 1897, pp. 275-276.

يبقى أن نشير إلى أنه بعد مضي حوالى قرن من الزمن على استقرار «الجاليات الأجنبية»، في جزيرة قبرص، فإنّ هذه الجاليات لم تُظهر أيّ ميل للاندماج بالسكان المحليين، على الرغم من اعتماد معظم أبنائها اللغة اليونانية، ولم يتجاوز الأمر حد التجاور والتعايش مع السكان القبارصة، على غرار ما كان قائماً في المملكة اللاتينية في الأراضي المقدسة. بيد أن ملامح الاندماج بين الطرفين ما لبثت أن لاحت في الأفق، بدءاً من النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد أكثر من قرن ونيف على استقرار ملوك اللوزنيان اللاتين في قبرص، وذلك على قاعدة التحول التدريجي باتجاه معتقدات الأكثرية اليونانية، على الرغم من ممانعة البابوية لانتقال الجالية اللاتينية والجماعات السورية التي تتبع الطقس الكنسي الغربي في قبرص إلى الطقس اليوناني^(١).

رابعاً: حركة التبشير

فضلاً عن الدور العسكري والديني المؤثر لمنظمات الأسبتار، وفرسان الهيكل، والتوتون في حروب الفرنج في الشرق، أو ما اصطلح على تسميته بـ «الحروب الصليبية»، فإن

(١) J. Richard, Le peuplement latin et syrien en Chypre, pp. 172-173.

قيام الكيانات اللاتينية في الشرق شجع البعثات الأوروبية على
القدوم إلى الشرق للنهوض بدورها التبشيري.

بدأت حركة التبشير، أو التنصير - فيما يقال - مع شاهد عيان
من مدينة نابولي، يدعى فاديو (Vadio)، عن طريق كتابه الموسوم
بـ (Hystoria)، يصف فيه آخر معاقل الفرنج على شواطئ
فلسطين. ويعتبر بعض الباحثين أن الممثل الحقيقي لحركة التبشير
هو المستشرق الكتالوني ريموند لول (Raymond Lull) ما بين
١٢٣٢ - ١٣١٥ م، وقد وضع لول خطة جديدة للحركة «الصلبية»،
ضمنها كتابه «التحرير النهائي»، أشار فيه إلى أن من الأفضل
الإقلاع عن اعتماد سياسة القوة في مواجهة الإسلام والمسلمين،
والاستعاضة عنها بسياسة سلمية قوامها العمل على استيعاب
المسلمين واستمالتهم عن طريق حركة التبشير، وإن كانت أفكاره
قد سبقها قدوم إرساليات دينية إلى الشرق الإسلامي عام ١١٥١ م،
(وقبل عام ١١٥٤ م)، وتمركزت في غير منطقة من بلاد الشام
وفلسطين بهدف التبشير^(١).

(١) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، تجارية، ثقافية،
صلبية، ترجمة فيليب صابر سيف، دار الثقافة المسيحية، القاهرة،
١٩٧٢، ص ص ٨٣ - ٨٤؛ جوليات الراسي، «التبادل الثقافي -
الاجتماعي بين اللبنانيين والفرنجة»، دراسة في كتاب: المناطق اللبنانية
في ظل الاحتلال الفرنسي، منشورات فيلون لبنان، بيروت، ١٩٩٧م،
ص ص ١٤٦ - ١٤٧.

وبعيداً عما قيل عن بداية حركة التبشير في الشرق الإسلامي، فإن ثمة ما يؤكد أن نشأة هذه الحركة قد ارتبطت باهتمام المسيحية الغربية بالإسلام وكنائس الشرق، منذ فترة أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر، بعيد نجاح الغرب الأوروبي في إنشاء كيانات له في الشرق على قاعدة الغلبة. ومع ذلك، فإن فكرة التنصير بدت غريبة عن اهتمامات الغرب المسيحي في الشرق الإسلامي، قبل بدايات القرن الثالث عشر، حين وطد الفرنسيكان^(١)، والدومنيكان^(٢)، نشاطهم التبشيري في بلاد الشام وفلسطين، بعد أن سعوا إلى نشر عقائدهم في أوساط المجتمع الإسلامي في المغرب والأندلس،

(١) الفرنسيكان: أسسها القديس فرنسيس الأسيزي عام ١٢٠٩م، اعتمدت في استمرار وجودها على التسول، ورهبانها في الشرق يعتبرون أنفسهم «حراس الأراضي المقدسة». انصرف الفرنسيكان إلى التعليم والتبشير في بعض مدن الشام وفلسطين ومصر، ولا سيما في القدس وبيروت وحلب وطرابلس والقاهرة ودمياط، بغية تنشيط الحياة الروحية للعلمانيين.

Nouveau Larousse Encyclopédique, Larousse, Paris, 1998, vol. I, p 645.

(٢) الدومنيكان، أو الأخوة الوعّاظ: أسسها القديس عبد الأحد ١٢٠٦م، وكان غرضها الرئيسي العمل على مواجهة البدع الشائعة، وقتذاك. بلغ عديد هذه الإرسالية الدينية، عام ١٣٩٠م، ما يقرب من عشرة آلاف منتسب، وكان لها دور مؤثر في حركة التبشير في الشرق.

Nouveau Larousse Encyclopédique, Ibid., Vol. I, p. 483.

قبل مرحلة «الحروب الصليبية» في غربي المتوسط، ولنا عودة إلى نشاط هاتين الإرساليتين الدينيتين في شرقي المتوسط فيما يلي.

ولئن نشطت حركة المبشرين إلى الشرق بعد اقتراب المغول منها، على أثر انتصارهم على سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، عام ١٢٤٣ م، مستفيدين من إشاعة المغول حرية المعتقد داخل دولتهم المنتشرة في أرجاء واسعة من آسيا الوسطى، وإجازتهم الجماعات الدينية ممارسة طقوسها حرية تامة، بما فيها الجماعات المسيحية، فإن الكنيسة الغربية لم تكن تعير كبير اهتمام لتنصير المسلمين بقدر ما كانت مسكونة بسعيها الحثيث لتوحيد الكنائس الشرقية بقيادتها، بعد أن ضجت من كثرة المضايقات التي تعرضت لها من قبل ملوك أوروبا وأمرائها الإقطاعيين، ولتأكيد سيادتها الدينية والدنيوية في العالم المسيحي شرقاً وغرباً، وتكوين جبهة مترابطة مشتركة مع المغول في مواجهة المسلمين.

ومع ذلك، فقد استفاد المبشرون من التسهيلات، آفئة الذكر، التي توفرت لهم، كي يمارسوا مهامهم، ورجحوا أن التبشير بالعقيدة الحقبة سيؤدي، لا محالة، إلى ظهور الحق، ويبلغ مَنْ كانوا يجهلون. إلا أن ما سعوا إليه - على الرغم من مما أظهره المغول من تسامح إزاء المعتقدات - قد اصطدم

بمرارة التجربة، فلم يُقْبَل المسلمون من رعايا الدولة المغولية على عقائدهم، وفشلت حركة التنصير في صفوفهم^(١).

على أن قيام الكيانات اللاتينية في الشرق شجع البعثات الدينية الأوروبية على القدوم إليه عموماً، وإلى الشام ومصر خصوصاً، للنهوض بدورها التبشيري هناك.

وتُظهر إحدى المرويات، شبه الأسطورية، أن فرنسيس الأسيزي انطلق إلى مصر للقاء الملك الكامل ابن العادل الأيوبي، فيما العمل الفاعل لاتباعه الفرنسيين في الشرق لم يبدأ إلا بعد وفاته. ويذكر صالح بن يحيى أن الإرسالية الفرنسية في مصر وصلت إلى الشرق الإسلامي، عام ١٢٢٠ م، وأقامت مقراً لها في طرابلس، كما شيدت ديراً لها في بيروت^(٢). وقبل ذلك، تأسست الإرسالية الكرملية في فلسطين، عام ١١٥٦ م، مستمدة اسمها من جبل الكرمل الفلسطيني، ثم انتشر نشاطها، تدريجياً، في بلاد الشام، لتستقر في بعض مدنها، وخاصة في مدينة طرابلس^(٣).

(١) كلود كاهين، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٢٤١.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٠٦؛

R. Ristelhueber, Traditions, p. 74.

(٣) H. Lammens, La Syrie, Précis historique, Beyrouth, 1994, T. I, p. 260.

بدءاً من عام ١٢٣٠م، أقام الدومنيكان في دمشق، ثم انتشروا في كل من عكا، ونيقوسيا، وطرابلس، حيث شيدوا أديرتهم. ولم يمض وقت طويل حتى أُزغموا على الخروج من طرابلس، عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩ م، على أثر استعادة المدينة ومحيطها من الفرنج على يد السلطان المنصور قلاوون^(١).

وبعد خروج الفرنج من الشرق، استمر قدوم البعثات الدينية إلى المنطقة. ومنذ العام ١٥٧٨ م، حضرت إلى لبنان بعثة يسوعية إيطالية قادمة من روما، ثم تلاحقت البعثات الدينية الإيطالية، مهينة الظروف الملائمة لنجاح زيارة قام بها الأب جيروم دانديني (Jérôme Dandini) إلى لبنان؛ وشكّل هذا الأب لجاناً متخصصة عملت جاهدة على قونة عقائد الطائفة المارونية، وتنظيم شؤون كنيستها^(٢).

ولئن كان للإرساليات الدينية الأوروبية تأثيرها الواضح في معتقدات المواردنة والأرمن عموماً في آسيا الصغرى، لا سيما بعد اعتراف رأس كنيسة كل من الطائفتين بسيادة كنيسة روما، عام ١١٩٨ م، أي بعد، سنوات قليلة من إعلان بطريرك

(١) R. Ristelhueber, Traditions, p. 75. حول تفصيل سقوط كونتية طرابلس على يد المماليك، راجع، أحمد حطيط، تاريخ لبنان الوسيط، ص ص ٧٥ - ٨٣.

R. Ristelhueber, Ibid., pp. 75-76.

(٢)

الموارنة تبعية كنيسة للكنيسة الغربية، على الرغم ممّا أحدثه ذلك من تداعيات سلبية على وحدة الكنيسة المارونية، فانقسم أتباعها بين مؤيد لخطوة الاتحاد مع كنيسة روما وبين معارض لها، وأصبح للموارنة بطريركان: أحدهما مناهض للاتحاد مع الكنيسة الغربية، يقيم في جبة بشري، في حين كان البطريرك الآخر، المنتخب بمعرفة سيد جبيل الفرنجي، من أسرة أمبرياتشي، يتخذ من حالات مقرأ له، واستمر التصدع في وحدة الكنيسة المارونية إلى حين زوال حكم الفرنج من الشرق^(١)، فإن الملكيين والغريغون^(٢) لم يظهروا أدنى استعداد للتأثر بنشاط الإرساليات الدينية، أو حماس للتقارب المذهبي مع الكنيسة الغربية، فكان من المتوقع، والحالة تلك، أن يُسيء الفرنج معاملتهم، لا سيما وأن هاتين الطائفتين لم تظهرا قابلية للتكيف أو لتطبيع العلاقات مع الفرنج، وحرصتا على اعتماد العربية لغة قومية، والارتباط العقدي واللاهوتي الوثيق بالكنيسة البيزنطية^(٣).

(١) راجع، كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٨٩.

(٢) طائفة مسيحية سورية ارتبطت عقدياً بتراث الكنيسة البيزنطية.

H. Lammens, La Syrie, T. I, p. 168.

(٣) Cl. Cahen, Orient et Occident, p. 211; G. Dédéyan «Les Communautés chrétiennes Orientales, in *Arabica*, T. XLIII, Fascicule I, Janvier 1996, p. 108.

ومما فاقم من تردي العلاقة بين المسيحيين الشرقيين والغربيين، إقدام أرباب «الحملة الصليبية الرابعة» على احتلال القسطنطينية، عام ١٢٠٤ م، وما رافق ذلك من أعمال السلب والنهب، فضلاً عن المجازر التي ارتكبتها الفرنج ضد سكان القسطنطينية الآمنين، لم ينج منها رجال الدين ودور العبادة فأدى ذلك إلى إحداث شرح كبير في العلاقات بين المسيحيين الشرقيين والفرنج، وعمق الهوة بين الكنيستين الشرقية والغربية. وكان من الطبيعي أن يعيق احتلال القسطنطينية حركة الإرساليات الدينية الأوروبية في الشرق^(١).

بالنسبة إلى المسلمين، لم تفلح حركة التبشير في زعزعة إيمانهم بدينهم والتخلي عن معتقداتهم. فالإسلام، دينهم الحنيف، حسب ما جاء في القرآن الكريم، هو خاتم الأديان السماوية بعد اليهودية والمسيحية، ونبیهم محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل. لذلك، رفض المسلمون بشدة كل ما اعتبروه بدعاً مخالفة لتعاليم دينهم^(٢).

ومع ذلك، يتحدث جاك دو فيتري (Jacques De Vitry) عن تحوّل أفراد من المسلمين إلى النصرانية، مثل بعض العبيد

M. Kaplan et autres, Les Croisades, Le Sac de Constantinople, (١) Paris, 1988, pp. 202-203.

Cl. Cahen, Orient et Occident, p. 213. (٢)

والأسرى المسلمين لدى الفرنج، فضلاً عن عدد من المسلمات اللواتي تزوجن من رجال فرنج اختاروا الاستقرار في الشرق^(١)، كما يذكر أفراداً من المسلمين أقدموا على اعتناق المسيحية كي ينجوا من الموت^(٢).

وكان من غير المتوقع أن يتأثر اليهود بنشاط الإرساليات التبشيري؛ فهم لم يكونوا على علاقة جيدة مع الفرنج الذين أمعنوا في اضطهادهم مذ وطأت أقدامهم أرض الشام، وأصابهم قسماً كبيراً من المجزرة التي ارتكبتها الفرنج في بيت المقدس (في ١٥ تموز عام ١٠٩٩ م / ٢٢ شعبان عام ٤٩٢ هـ)^(٣)، فنكّلوا بهم، وأجبروهم على مغادرة مناطق سكنهم إلى المناطق الإسلامية، وظلّوا مُبعدين عن ديارهم حتى عادوا إلى المدينة المقدسة، بُعيد استعادتها من الفرنج على يد صلاح الدين (٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ / تشرين الأول عام ١١٨٧ م)، مستفيدين من الامتيازات التي منحها السلطان الأيوبي لأهل الكتاب^(٤).

(١) Jacques De Vitry, *Histoire des Coisades*, édité par M. Guizot, Paris, 1825, p. 31.

(٢) J. De Vitry, *Ibid.*, p. 31.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣م، ص ٢٢٢.

(٤) Cl. Cahen, *Indigènes et Croisés, un médecin d'Amaury et de Saladin*, in *Syria*, 1934, pp. 351-360.

خامساً: الامتيازات الأجنبية

عرفت العلاقات التجارية بين الشرق والغرب، في فترة «الحروب الصليبية» نشاطاً ملحوظاً، انعكس إيجاباً على موانئ مدن الساحل الشامي، ومنها موانئ طرابلس، وجبيل، وبيروت، وصيدا، وصور. فقد حثَّ رجحان كفة المصالح في التعامل الدولي - على الرغم من دقة الظروف التي سادت العلاقات بين الشرق والغرب وقتذاك - أن يحظى تجار المدن الأوروبية المتوسطة، ومنهم تجار المدن الإيطالية الثلاث: البندقية، وجنوا، وبيزا، بامتيازات تجارية في موانئ مدن شرقي المتوسط - لا سيما وأن هذه المدن كانت قد ربطت مشاركتها في «الحروب الصليبية» بهذه الامتيازات - فأقاموا فيها أحياء تجارية وقنصليات خاصة بهم من أجل السيطرة على التجارة بين الشرق والغرب، والحصول على الربح الوفير منها، وتقوية مراكزهم ووجودهم التجاري في الشرق حيث الوفرة والثروة، وحيث كانت القوافل التجارية تأتي محملة بالسلع الشرقية النفيسة الواردة إلى موانئ الشام^(١).

تمثلت المدن الأوروبية في الشرق الفرنسي بجاليات

(١) Manfroni Camillo, Storia della Italiana dale inveseone Barbariche al Trattato di Ninfeo (400-1261), T. I, pp. 136, 138.

اقتصادية، تتمتع باستقلال ذاتي، في المدن الساحلية الرئيسية، ومنها: طرابلس، وجبيل، وصيدا، وصور، وعكا، شدّ من عَضْدِها ما توفر لها في بلدها الأم من الدعم التجاري والاقتصادي، فضلاً عن الدعم السياسي والعسكري، هذا الدعم الذي غالباً ما لجأت إليه هذه الجاليات لتعزيز قدرتها على التنافس فيما بينها في احتكار الامتيازات التجارية في بلاد الشام، من دون أن يخلو، أحياناً، من الصراع الدامي بين الأحياء التجارية للمدن الأوروبية في غير مكان من مدن الساحل الشامي.

من ذلك: ما وقع من نزاع بين جنوا وبيزا، عام ١٢٤٩م/ ٦٤٧ هـ، ونشوب القتال في شوارع عكا بينهما، عام ١٢٥٠م/ ٦٤٨ هـ، بسبب مصرع أحد التجار الجنوية على يد البنادقة، ومن ثم الخلافات بين الطرفين على ملكية كنيسة القديس سابا (Saint Sabas)، الواقعة بين الحي الجنوبي والحي البندقي، وأدت إلى حرب أهلية في عكا، هي من نتاج التسابق التجاري للسيطرة على تجارة الشرق بين الجمهوريتين الإيطاليتين^(١). ثم تجدد القتال بين الطرفين، عام ١٢٥٦ م/ ٦٥٤ هـ، فانحازت

René Grousset, *Epopée des Croisades*, Paris, 1936, p. 371.

(١)

بِزَا إِلَى جَنَوَا، وَأَوْقَعَتَا الْهَزِيمَةَ فِي صَفُوفِ الْبَنَادِقَةِ^(١).

وَمِنذَ الْقَرْنَيْنِ السَّادِسِ عَشَرَ وَالسَّابِعِ عَشَرَ، شَهِدَتِ الْحَرَكَةُ التِّجَارِيَّةُ بَيْنَ شَطْرِي الْمَتَوَسِّطِ اَزْدِهَاراً مَطَّرِداً، وَطَغَتِ الْمَصَالِحُ التِّجَارِيَّةُ عَلَى الْاَعْتِبَارَاتِ الدِّينِيَّةِ. وَكَانَ أَنْ بَادَرَتْ فَرَنْسَا إِلَى تَحْرِيرِ سِيَاسَتِهَا الدَّوْلِيَّةِ مِنْ ضَغْطِ الْمَشَاعِرِ الدِّينِيَّةِ، فَعَقَدَ مَلِكُهَا فَرَنْسَوَا الْأَوَّلُ صَفْقَةً تِجَارِيَّةً مَعَ السُّلْطَانِ الْعُثْمَانِيِّ سُلَيْمَانَ الْقَانُونِيِّ، عَامَ ١٥٣٥ م، مُنَحَ الْفَرَنْسِيِّونَ بِمَوْجِبِهَا امْتِيَازَاتٍ تِجَارِيَّةٍ مَهْمَةٍ فِي بِلَادِ السُّلْطَنَةِ. ثُمَّ تَوَسَّعَتْ دَائِرَةُ الْاِمْتِيَازَاتِ لِتَشْمَلَ أَوْرُوبِيَّينَ آخَرَيْنَ، فِيمَا عُرِفَ بِـ «الامْتِيَازَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ»^(٢) (Les Capitulations). وَقَدْ حَقَّقَتِ الدُّوَلُ الْأَوْرُوبِيَّةُ، بِسَبَبِ هَذِهِ الْاِمْتِيَازَاتِ، نَفُوزاً سِيَاسِيّاً وَاقْتِصَادِيّاً وَاسِعاً فِي الشَّرْقِ الْإِسْلَامِيِّ، كَانَ مِنْ نَتَائِجِهِ الْبَعِيدَةِ تِمَادِي التَّدْخُلِ الْأَوْرُوبِيِّ فِي شُؤُونِ الْمَنَاطِقِ الْخَاضِعَةِ لِلْسُّلْطَنَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَبِذَرَائِعِ مُخْتَلِفَةٍ لَا يَتَسَعُ الْمَجَالُ لِلتَّفْصِيلِ فِيهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ.

(١) س. رَنَسِيمَان، الْحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّةُ، تَرْجَمَةُ السَّيِّدِ الْبَازِ الْعَرِينِيِّ، م ٣، ص ٤٨٧.

(٢) Adel Ismail, Histoire des pays Arabes dans les Archives Diplomatiques, Beyrouth, 1992, T. I, pp. XIV-XXV.

خاتمة

أسهمت السياسة التي انتهجتها المملكة اللاتينية في بيت المقدس في عزلتها عن بيئتها الشرقية. لقد راهنت على القوة العسكرية وحدها لضمان أمنها وبسط سيادة نظامها الفيودالي في المجالات السياسية والاقتصادية والدينية، ولم تستطع، بالتالي، التآلف مع محيطها الإسلامي، ولا مع الكنيسة الشرقية المتجذرة في المنطقة، معتمدة سياسة التفرقة بين السكان المحليين، ومستبعدة، في الوقت نفسه، أية إمكانية لمشاركة هؤلاء في إدارة شؤون مؤسساتها الدينية والعلمانية. من هنا نفهم عمق الآثار السلبية للنظام الفيودالي، الذي أرساه الفرنج في الشرق، في الجماعات الدينية المحلية هناك جميعها.

واستناداً إلى ما تقدّم، يمكننا الاستنتاج أن الجماعات الطائفية المحلية لم تكن على أحسن حال في ظل النظام الفيودالي الذي طبقه الفرنج في كياناتهم السياسية، وأن أيّاً من هذه الجماعات لم يحقق مكاسب خاصة في ظل الوجود

الفرنجي في الشرق. ولعل نزعة الاستعلاء والمنفعة الشخصية جعلاً الأسياد الفرنج لا يحترمون عهودهم، ولا يقيمون وزناً لأيٍّ من الجماعات المحلية، فأسهّموا، بذلك، في إثارة مشاعر الريبة تجاههم، وانعدام ثقة السكان بهم وبنظامهم الفيودالي.

وبعد فشل النظام الفيودالي في الشرق، بسقوط المملكة اللاتينية في بيت المقدس، لم تحدث ردّات فعل تُذكر ضد الجماعات المسيحية المحلية، ولم تتعرض بالتالي لعمليات انتقامية، بل بقي المسيحيون في مناطق سكناهم إجمالاً، ولم يتحملوا وزرَ أفعال الفرنج الذين ادّعوا أن من أهم دوافعهم للمقدوم إلى الشرق هو الدفاع عن المسيحية (احتلال الفرنج للقسطنطينية عام ١٢٠٤ م، خير شاهد على عدم صدقية هذه المزاعم).

ويذكر كلود كاهين^(١) أن حرية المعتقد والمُلكية الفردية للمسيحيين ظلتا مصانيتين في المجتمع الإسلامي، حتى في لحظات احتدام الصراع مع الفرنج، وأن صلاح الدين عندما انتزع بيت المقدس من أيدي الفرنج أحسن معاملة المسيحيين فيها، واستنّ تشريعات منح اليهود والمسيحيين بموجبها حقوقاً وامتيازات عدة. مع الإشارة إلى أن سياسة التسامح الديني التي

Cl. Cahen, Indigènes et Croisés, pp. 351-360.

(١)

اعتمدها خلفاء صلاح الدين قد اعترأها، أحياناً، حالات من الهيجان الشعبي ضد المسيحيين المحليين، كردة فعل على عمليات الفرنج العسكرية، إلا أن هذا الهيجان لم يلقَ، في أغلب الأحيان، دعماً من الحكام المسلمين^(١).

ومع ذلك، فإن ثمة أحداثاً جرت بين الجماعات الإسلامية والمسيحية، في بعض مناطق الشام، ومصر، في فترة الحكم الفرنجي، نذكر منها: الاضطرابات التي حصلت إبان وبُعيد ما سمي بـ «الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة» اللتين قادهما ملك فرنسا لويس التاسع (القديس لويس) على مصر وتونس.

وإزاء مُجمل الآثار السلبية للنظام الفيودالي الذي أرساه الفرنج في كياناتهم التي أقاموها في الشرق، فإنَّ «الحركة الصليبية» إلى الشرق أفسحت المجال واسعاً للتواصل الإنساني بين الجماعات السكانية في بلاد الشام وشعوب غرب أوروبا، فأُتيحت للفرنج فرصة الخروج من حالة الجهالة التي كانوا يرزحون تحتها، وتسَنَّى لهم، بفعل احتكاكهم المباشر بالحضارة العربية الإسلامية الناهضة، على امتداد ما يُقارب القرنين من الزمن، أن يفيدوا من منجزات هذه الحضارة، على غير صعيد،

C. Sivan, *L'Islam et la Croisade*, Paris, 1968, pp. 180-181.

(١)

ولا سيّما في الميادين الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ذلك: ما اكتسبه الفرنج في الشرق من معارف متنوعة في شتى حقول العلم، ومنها: الفلسفة، والطب، والرياضيات، والفيزياء، وعلم الفلك، والعلوم الطبيعية والجغرافية، وما عرفوه في ميدان الصناعة، من ذلك: نسج الأقمشة الحريرية، وصبغها، وصناعة السجاد، والأواني الخزفية، والزجاج الملون، وصناعتنا الورق والسكر.

وبسبب ازدهار التجارة بين ضفتي المتوسط، في فترات السلم، انتقلت نباتات جديدة من بلاد الشرق إلى أوروبا، ومنها السمس، والخرنوب، والأرز، وبعض أصناف الفاكهة، كالبطيخ، والليمون، والمشمش، فضلاً عن التوابل والبحار التي احتكرها المسلمون، ونقلوها إلى الشرق الأقصى، عبر البحر الأحمر، إلى موانئ مصر والشام، ومنها إلى أوروبا بواسطة التجار الأوروبيين^(١).

واتخذ الفرنج، النازلين في الشرق، لإقامتهم الخاصة، الدور الرحبة، وأحاطوها بالجنان والأشجار لتلطيف الهواء، وأكثروا من استخدام الأثاث الشرقي في بيوتهم. واستحسنوا

(١) أحمد حطيط، الكارمية وتجارة الكارم في عصر المماليك، مجلة الفكر العربي، عدد 54، كانون الأول سنة 1988، ص 170.

الملابس الشرقية الفضفاضة، الواسعة الأكمام، الزاهية الألوان، كما عرفوا الآلات الموسيقية العربية وقلّدوها، كالقيثارة، والعود، والربابة، والمزمار، وأدخلوا في جوقاتهم الموسيقى الطنبور، والطبل.

واستفاد الفرنج، أيضاً، من خبرات العرب والمسلمين في فن الهندسة الحربية، في بناء التحصينات والاستحكامات خاصّة، وأخذوا عنهم وسائل نقل المعلومات العسكرية العاجلة، كالحمام الزاجل نهاراً، وإشعال النار ليلاً.

أما ما تركه الفرنج من أثر في بلاد الشرق، فتمثّل، أساساً، بالكنائس الواسعة الأرجاء، المحكمة الهندسة، على الطراز القوطي، الشائع، آنذاك، في أوروبا، فضلاً عمّا شيّدوه من قلاع، وحصون، وأبراج، على طول الساحل الشامي، وفي المراكز الاستراتيجية الداخلية، التي لمّا تزل شاهدة على روعة فن العمارة الحربية في القرون الوسطى. ومن أبرز هذه الآثار: قلعة صنجيل في طرابلس، وقلعتا البحر والقدّيس لويس في صيدا، وقلعة شقيف أرنون قرب مدينة النبطية، وقلعة تبّنين، ثم قلعة حصن الأكراد على الطريق الداخلية الممتدة بين طرابلس وحمص، وحماء.

الفهارس

- فهرس الأعلام والجماعات والأقوام
- فهرس الأماكن
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الأعلام والجماعات والأقوام

- أربانوس الثاني، البابا ١٧ - ١٩ - ٧٠ - ٧٤.
- الأرمن: ٤٠ - ٤٣ - ٥٨ - ١٧٥ - ١٨١.
- أسماء بن منقذ: ٥٧ - ٦٢ - ١٠٣ - ١٠٤.
- أسطفان الدويهي، البطريك: ٤٦.
- اسماعيل بن طفتكين، شمس الملوك: ٣٣.
- الاسماعيليون: ٤٠ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ - ٦٢.
- الأفضل ابن بدر الجمالي، الوزير الفاطمي: ٣٠ - ٣٣ - ٣٤.
- الأقباط: ٥٨.
- ألب أرسلان، السلطان: ٢٠.
- ألكسي كومنين، الأمبراطور: ١٩ - ٢٣ - ٤٢.
- إ
- الأمير بأحكام الله، الخليفة الفاطمي: ١٦٢.
- ابن أبي الطيب، شرف الدولة: ٣٠.
- ابن جبير الأندلسي: ٥٢ - ٦٢ - ١٣٠ - ١٣١.
- ابن عمار، أبو المناقب: ٣٠.
- ابن عمار، فخر الملك: ٢٢ - ٢٣ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠.
- ابن القلاعي، المؤرخ: ٤٧.
- ابن القلانسي، المؤرخ: ٣٥.
- أبق الظهيري، مجير الدين: ٥١.
- الإدريسي، الرحالة: ٣٩.
- أديمار دو مونتي، الكاردينال: ١٩.

أنوشتكين الأفضلي، عز الملك : ٣٣.
بركة بن بيبس البندقاري، الملك
السعيد : ٥٢.

أهل البندقية، انظر : البنادقة.
أهل بيزا، انظر : البيازنة.

أهالي صور : ٣٨.
بشارة العاملي، الأمير حسام
الدين : ٦٠.

أهالي صيدا : ٣٢ - ٥٩.
أهالي طرابلس : ٤٧.

الأوروبيون : ٧٠ - ٨٧ - ١١٣ -
١٥٣ - ١٨٧ - ١٩٢.

أوستاش غارنيه الفرنجي : ٧٤.
الإيطاليون : ١٧ - ١٢٩ - ١٤١ -

١٤٣ - ١٥٢ - ١٥٤.

الأيوبيون : ٥١ - ٦٣.
بنو بحتر التنوخيون : ١٦٦.

بنو جنديل : ٤٩ - ٥٠.

بنو عمار : ٤٠.

بهرام الإسماعيلي : ٥٠.

بودوان الأول (بغدوين) : ١٨ -
٢٠ - ٢٦ - ٢٧ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ -

٤٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٨١ - ٩٧ -
١١٦.

بودوان الثاني : ٧٥ - ١١٠.

بودوان الثالث : ٨٠.

بورخارد، الراهب الدومنيكاني :
١٢٦ - ١٣٥.

ب

باليان الثاني إبلين : ٨٨.

بحتر بن علي التنوحي، الأمير :
٥١.

البحثريون : ٥١.

برتراند الصنجيلي : ٣٠ - ١١٦.

البرجوازيون (البرجوازية) : ٨١ -
٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٠ - ١٠٤ -

١٠٨ - ١١١ - ١١٣ - ١٢١ -
١٢٨ - ١٤٤.

- يونس الفرنجي: ٤٥ - ٤٧ - ١١٦. الجرمان: ٦٦.
 بوهيمند السابع: ٣٨.
 بوهيمند النورماندي: ١٨ - ٢١.
 البيازنة (البيزيون): ٣٨ - ١٠٢ - ١٤٢ - ١٤٥.
 بيبرس البندقداري، الملك
 الظاهر: ٤٥ - ٤٦ - ٥١ - ١٦٨.
 الجماعات الإيطالية: ١١٨.
 الجماعات التركية: ١٦٨ - ١٦٩.
 الجماعات السورية: ١٧٤ - ١٧٦.
 الجماعات الشركسية: ١٦٨ - ١٦٩.

ت

- التركان: ٤٦ - ٥٥ - ١٦٦.
 التركوبل: ١٧٥.
 تنكرد الفرنجي: ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٣٣ - ٧٣ - ٨١ - ١١٦.
 التوخيون: ٥٠ - ٥١.
 التوتون: ١٧٦.
 الجماعات العربية: ١٦٨ - ١٦٩.
 الجماعات الكردية: ١٦٨ - ١٦٩.
 الجماعات اللبنانية: ١١٥.
 جناح الدولة، الأمير: ٢٧.
 الجنوبيون (الجنوية): ٣١ - ٦٣ - ١٠٢ - ١٤١ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٧٣ - ١٨٦.

جيرار، الفارس الفرنجي: ٨١.

جيرار دو ريدفور: ٨٥.

جيروم دانديني: ١٨١.

ج

جاك دو فيتري: ٤٥ - ٦١ - ١٢٦ - ١٣٢.

جان براور: ٦١ - ٨١ - ٩٦ - ١٠٢ - ١١١.

جان ريشار: ٤٤ - ٤٥ - ٤٨ - ٦١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٧٢.

الجاليات الأوروبية: ١٤٠.

ح

حجي التوخي، الأمير: ٥١.

حنا ابلين، الأمير: ٧٨ - ٩٤ - ٩٥ - ١٠٠.

حنا كومنين، الأمبراطور: ١٠٣.

خ

خليل بن قلاوون، الملك
الأشرف: ٤٢ - ١٦٨.

رينيه غروسيه: ٦١.

ز

الزنكيون: ٥١ - ٥٤.

د

الداوية (فرسان الهيكل): ١٠٢ -
١١٧ - ١١٨.
دايمبرت البيزي، البطريك: ٢٦.
دقاق، الأتابك: ٢٧.
الدومنيكان: ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨١.

س

سالم، المقدم: ٤٨ - ٥٥.
ستيفن رنسيما: ٦١ - ١٢٣.
السلاجقة: ٢٤ - ٣٧.
سلاجقة الروم: ٢٠ - ١٧٩.
سليمان القانوني، السلطان: ١٨٧.
السنة ٤٠ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٩ -
١٧١.

و

ويلي سميث: ١٠٧.
رهبان كنيسة القبر المقدس: ١١٠.
روبرت، كونت نور منديا: ١٨.
ريموند بواتو، الأمير: ١٠٣.
ريموند الثالث، الكونت: ٨٤.
ريموند الثاني، الكونت: ٤٤ -
٤٧.

ش

الشهابيون: ٥٠.
الشيعة الاثنا عشرية: ٤٠ - ٥٢ -
٥٤ - ٥٩.

ص

صالح بن يحيى: ١٨٠.
صلاح الدين الأيوبي الكبير،
الملك الناصر: ٤٢ - ٤٧ - ٥٤ -
٥٩ - ٦٠ - ٦٣ - ١٣٧ - ١٦٣ -
١٦٨ - ١٨٤ - ١٩٠.
ريموند لول الكتلونى: ١٧٧.
ريموند دو سان جيل (صنجيل):
١٨ - ١٩ - ٢٢ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ -
٢٩ - ٣٠.
رينيه، الأمير الفرنجي: ١٠٤.

الصليبيون، انظر: الفرنج.

ض

الضحاك بن جندل: ٤٩.

ط

الطرابلسيون: ٢٣.

طغتكين، الأتابك: ٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٥ - ٥٩.

ع

عائلة أمبرياتشي: ٣٨.

عائلة أنجو: ٣٨.

عائلة صليبي: ١٦٧.

عائلة فرنجية: ١٦٧.

عائلة كرم: ١٦٧.

علي التنوخي، الأمير: ٥١.

عماد الدين زنكي: ٤٤ - ١٦٨.

عموري، الملك: ٨٥ - ٨٧.

غ

غازي الداشمندي، الأمير: ٢٠.

غازي ابن صلاح الدين الأيوبي،

الملك الظاهر: ١٦٣.

الغريفون: ٥٩.

غود فروا دو بويون: ٢٦ - ٧١ -

٧٢ - ٧٣ - ١٠٠ - ١٠١ - ١١٠.

غي دو لوزنيان: ١٦٩ - ١٧٠.

ف

الفاطميون: ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ -

٣٠ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٩.

الفرنج: ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ -

٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ -

٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ -

٣٥ - ٣٧ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -

٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ -

٥١ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ -

٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ -

٦٤ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥ - ٧٨ -

٨٠ - ٨٥ - ٩٣ - ١٠٨ - ١٠٩ -

١١٢ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ -

١٢٣ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٠ -

١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ -

١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ -

١٤١ - ١٤٢ - ١٤٥ - ١٤٦ -

١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ -

١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ -

١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠ -

١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٦ -

١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٠ - ١٧١ -

١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - كلود كاهين: ٤٣ - ٦١ - ١٦٧ -
 ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٦٨ -
 ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - كونراد دو مونتفور: ٤٤ -
 ١٩٣.

ل

فرنسوا الأول، الملك: ١٨٧.
 فرنسيس الأسيزي: ١٨٠.
 الفرنسيكان: ١٧٨ - ١٧٩.
 الفرنسيون: ٦١.
 الفلاحون: ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ -
 ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٠ -
 ١٣١ - ١٣٦ - ١٦٥.
 فولك، الملك الفرنجي: ٦٢ -
 ١٠٤ - ١١٦.
 فيليب حتي: ١٦٧.
 فيليب دو ميلي: ٨٠.
 اللاتين: ٢١ - ٤٠ - ٤٢ - ٨٨ -
 ٨٩ - ٩٠ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٢٤ -
 ١٢٦ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٦٩ -
 ١٧٥ - ١٧٦.
 لوقا النهراني، البطريك: ٤٧.
 لويس التاسع، الملك: ٦١ -
 ٦٢ - ٦٣ - ١٩١ - ١٩٣.

م

مارك بلوك: ٦٦ - ٦٧.
 محمد بن قلاوون، الملك
 الناصر: ٥٢.

محمد بن ملكشاه، السلطان:
 ٢٩ - ٣٠.

المرسيليون: ١٤٥.
 المستظهر بالله، الخليفة العباسي:
 ٢٩.

المستنصر بالله، الخليفة الفاطمي:
 ١٦٢.

المسلمون: ١٧ - ٤١ - ٤٤ -
 ٤٦ - ٤٨ - ٥١ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ -
 الكامل ابن العادل الأيوبي: ١٨٠.
 كرامة بن بحر التنوخي: ٥١.

ق

القديس لويس، انظر: لويس
 التاسع.

قلاوون، الملك المنصور: ٣٨ -
 ٤٦ - ٥٢ - ١٦٨ - ١٨١.

ك

ميخائيل السرياني: ٤٣.	٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٤ -
ن	٧٠ - ٨٠ - ٨٩ - ٩١ - ٩٣ - ٩٤ -
النروجيون: ٣٢.	١٠٤ - ١٠٩ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٢٢ -
النيماطرة: ٣٩ - ٤٣ - ١٧٣ -	١٢٤ - ١٢٦ - ١٣١ - ١٣٢ -
١٧٥.	١٣٣ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٦ -
النصيرية: ٣٩ - ٤٠ - ٤٤ - ٦٠.	١٥٢ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٥ -
نور الدين زنكي: ٣٥ - ٤٧ -	١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٠ -
٥٠ - ١١٨ - ١٦٨.	١٨٣ - ١٨٤ - ١٩١ - ١٩٢.
هـ	المسيحيون: ٢٣ - ٣١ - ٤١ -
هنري لامنس: ٥٥ - ١٣٢.	٤٣ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ -
هوغ دو سانت أومر: ٣٣ - ٨١.	٨٨ - ١٠٨ - ١٢٠ - ١٢٣ -
و	١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٩ - ١٣٢ -
والتر المفلس: ١٩.	١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ -
وليم جوردان (السردياني): ٢٩ -	١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٣ -
٣٠ - ١١٦.	١٩٠ - ١٩١.
وليم الصوري: ٢٤ - ٤٥ - ٦١.	المغول: ٥١ - ١٧٩.
ي	الملكيون: ٣٩ - ٤١ - ٤٢ - ٤٦ -
اليعاقبة: ٣٩ - ٤٣ - ٥٨ - ١٧٥.	٥٨.
اليونان (اليونانيون): ١٧٥ - ١٧٦.	المماليك: ٤٦ - ٤٨ - ٥١ - ٥٥ -
اليهود: ٤١ - ٤٣ - ٤٤ - ١٠٦ -	٥٨ - ١٢٢ - ١٦٦ - ١٧١.
١٠٩ - ١٣٩ - ١٨٤ - ١٩٠.	الموارنة - الطائفة المارونية: ٣٩ -
	٤١ - ٤٣ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٤ -
	٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٦١ - ١٣٢ -
	١٧٥ - ١٨١ - ١٨٢.
	الموحدون الدروز: ٤٠ - ٤٩.

فهرس الأماكن

- ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧١
- أ: آسيا: ١٦٨ - ١٧٩
- آسيا الصغرى: ١٩ - ١٦٩ - ١٧٩ - ١٨١
- الأردن: ٧٥ - ٩٥
- أذنة (أضنة): ٢٠
- أرسوف: ٢٤ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٨٤ - ٩٩
- أرمينو خوري: ١٧٥
- أريحا: ١٣٤
- اسكندرون: ٣٤
- إسكي شهر، انظر: دوروليووم
- ألمانيا: ١١٢
- الأندلس: ١٧٨
- أنطاكية: ٨٤ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٥ - ١٣٥ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٠ - ١٦٨ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٥ - ١٩١ - ١٩٢
- إيطالية: ١٨ - ٢٠ - ٢١ - ٣١ - ٣٢ - ٤٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٣ - ٧٠ - ٧٦ - ١٥٣

البندقية: ١٨ - ١٥٦ - ١٨٥.

بافوس : ۱۷۰.

بانياس: ٣١ - ٥٠ - ٦٠ - ٧٦ - ١٠٤.

البترون: ٢٤ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٨ -
٨٥ - ١٣٥ - ١٦٦.

البحر الأحمر: ١٩٢.

البحر المتوسط: ١٥٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٧٢ - ١٧٩ - ١٨٥ - ١٨٧ - ١٩٢.

برشلونة: ١٤٤.

بشري: ٣٩ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ -
١٨٢ - ٥٥.

بعرین : ۲۱ - ۴۴.

بعلبك : ٣٥ - ٤٠ - ٤٧ - ١٤٥ .

بغداد ۲۹.

البقاع: ٣٧ - ٤٠.

بلاد الشام : ١٨ - ٣٤ - ٥٨ -

- 99 - 17 - 70 - 71 - 72

- 120 - 126 - 128 - 109

.192-191

بولونيا : ۱۸.

بيت المقدس: ١٧ - ٢١ - ٢٣ -

- 29 - 30 - 31 - 27 - 26 - 28

$$-V_2 - V_1 - V_1 - V_1 - V_1 - 0.$$

- A6 - A7 - A8 - V6 - V7 - V8
 A9 - A10 - A11 - A12 - A13 - A14

بيت لحم: ١٥١ - ١٥٥ - ١٦٧.

ير السبع: ٧٦.

بيروت: ٢٣ - ٢٤ - ٣١ - ٣٢ -

- 11 - 77 - 70 - 00 - 10 - 37

- 120 - 120 - 122 - 120

.180 - 188 - 180.

بیزا: ۱۸ - ۱۸۵ - ۱۸۶ - ۱۸۷.

بيزنطية: ١٨ - ٢٧ - ٥٨ - ١٣٧.

بیان: ۷۳ - ۷۶.

٢

تبيين : ۷۶.

تلة المعشوق: ٣٣. ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ -
١٧٥ - ١٧٦.

تولوز: ١٨. الجليل: ٧٠ - ٧٣ - ٧٦ - ٧٧ -
٨١ - ٩٥ - ١١٠.

ج

جبال طوروس: ٢٠. جنوا: ١٨ - ١٥٦ - ١٨٥ - ١٨٦ -
١٨٧.

جبال لبنان - جبل لبنان: ٣٩ - ٤٠ -
٤١ - ٤٩ - ١٦٦.

ح

جبال النصيرية (جبال البهراء):
٤٠. حالات: ٥٦.

جبل بيروت: ٤٠ - ٤٩ - ٥٠ -
١٥١. حدث الجبة: ٤٦ - ٤٨ - ٥٥ -
٥٦.

جبل الشوف (جبل صيدا): ٣٧ -
٤٠ - ٤٩ - ٥٠. الحجاز: ١٦٣.

جبل طابور: ١٣٦. حصن الأكراد: ٢١ - ٤٦ - ١٩٣.

جبل عامل: ٥٢ - ٥٤ - ٥٩ - ٦٠ -
١٣٠ - ١٣٥. حصن الخواي: ٤٠.

جبل الكرمل: ١٨٠. حصن صنجيل: انظر: قلعة
الحجاج.

جبل المنيطرة: ٣٨. حصن عكار: ٣٨.

جبل: ٢٢ - ٣٠ - ٣١ - ١٤١. حصن العليقة (القليعة): ٤٠.

جيبيل: ٢٣ - ٢٤ - ٢٨ - ٣٠ - ٣٨ -
٣٩ - ٤٩ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦.

حصن المنيطرة: ٤٧. حصن هونين: ٦٠.

١٤١ - ١٦٦ - ١٨٢ - ١٨٥ -
١٨٦. حماة: ٣٥ - ١٤٥ - ١٩٣.

جزيرة قبرص: ١٦٩ - ١٧٠ -
حمص: ٢٧ - ٣٥ - ١٩٣.

حلب: ٣٤ - ١٤٥ - ١٤٦ -
١٥٥ - ١٥٦.

حيفا: ٧٣ - ٧٦ - ٩٩.

الخليل: ٧٣ - ٧٦ - ٩٥ - ١٤٥.

د

الداروم: ٧٧.

دمشق: ٢٧ - ٣٠ - ٣٢ - ٣٣ -

٣٥ - ٣٧ - ٤٠ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ -

٥١ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٥ - ١٥٦ -

١٥٧ - ١٨١.

دوروليوم: ٢٠.

الديار الشامية، انظر: بلاد الشام.

الديار المصرية، انظر: مصر.

ر

رأس العين: ١٣٤.

الرصافة: ١٤٥.

رفدية: ٢١.

الرملة: ٢٤.

الرها: ٢٠ - ٢١ - ٢٧ - ٣١ -

٥٨ - ٧٠ - ٧٦ - ١٠٣ - ١١٥ -

١٦٤ - ١٦٨.

روما: ٤٢ - ١٨١.

ز

الزبداني: ٨٠.

س

الساحل الشامي (ساحل الشام):

٢٣ - ٥٤ - ١٣١ - ١٦٥ - ١٨٦ -

١٩٣.

الساحل اللبناني: ٢١ - ٢٤ -

٥٦ - ١٦٦.

سريانوخوري: ١٧٤.

سوريا: ٤٣.

السويدية: ٣٢.

ش

شبه الجزيرة العربية: ٧٥ - ١٦٨.

الشرق: ١٧ - ١٩ - ٢١ - ٥٤ -

٥٦ - ٦٤ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ -

٨٢ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ -

١٠٩ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٧ -

١١٩ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢ -

١٣٦ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٤٢ -

١٤٣ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٦٦ -

١٦٨ - ١٧٢ - ١٧٦ - ١٧٧ -

١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ -

١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ -

١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٠ -

٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٥ -

٦٠ - ٦٣ - ٧٠ - ٧٦ - ٨٤ -

١٠٣ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ -

١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤١ -

١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٦ -

١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ -

١٥١ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٨ -

١٦٤ - ١٦٦ - ١٨٠ - ١٨١ -

١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٩٣ -

طرطوس، أنظر: أنطرطوس.

طورا: ١٢٨.

ع

عركة: ٢٢ - ٢٣ - ٣٨.

العريش: ١٦٧.

عسقلان: ٢٦ - ٣٤ - ٦٣ - ٧٠ -

٧٥ - ٩٩.

عكا: ٢٤ - ٢٧ - ٣٩ - ٦١ -

٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٧ - ٧٩ - ٩٧ -

٩٩ - ٩٩ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١٢٦ -

١٣٠ - ١٣٦ - ١٤٣ - ١٤٤ -

١٤٥ - ١٤٨ - ١٥٠ - ١٥٥ -

١٨١ - ١٨٦.

عكار: ٢٢ - ١٣٦.

عين جالوت: ٥١.

١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣.

الشرق الأقصى: ١٩٢.

الشوبك: ٧٦ - ٧٧ - ٨٠.

شيزر: ٣٠.

ص

صرفند (صرفة): ٢٤.

صور: ٢٤ - ٢٧ - ٣٢ - ٣٤ -

٤٥ - ٥٩ - ٧٥ - ٩٦ - ٩٩ -

١٠٩ - ١١١ - ١١٢ - ١٢٤ -

١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ -

١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ -

١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٥ -

١٦٠ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٨٥ -

١٨٦.

صيدا: ٢٤ - ٢٧ - ٣٢ - ٤٠ -

٤٩ - ٥٠ - ٦٣ - ٧٠ - ٧٤ - ٧٥ -

٧٦ - ٩٥ - ١٣٤ - ١٣٦ - ١٥٧ -

١٦٦ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٩٣.

ط

طبرية: ٣٣ - ٧٣ - ١٣٤ - ١٤٥ -

١٤٦.

طرابلس: ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٧ -

٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ -

٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤ -

غ

الغرب الأوروبي، انظر: أوروبا.

قلعة القديس لويس: ١٩٣.

قليلية: ٢٠.

قونية: ٢٠.

قيسارية: ٢٤ - ٧٤ - ٧٦ - ١٠٥.

القيمون: ٧٦.

ف

فرنسا: ٦١ - ١١٢ - ١٤٩ -

١٦٩ - ١٨٧ - ١٩١.

فلسطين: ١٧ - ٢١ - ٢٨ - ٤٣ -

١٢٦ - ١٧٢ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٠.

فماغوستا: ٧٠ - ١٧١ - ١٧٣ -

١٧٤.

ك

كاتدرائية لومانوس: ١٤٩.

كرباس: ١٧٠.

الكرك: ٧٦ - ٧٧ - ٨٠.

كسروان: ٣٧ - ٤٠.

كفرطاب: ١٤٥.

كلرمون فرّان: ١٧ - ٦٩.

الكنيسة البيزنطية: ١٨٢.

كنيسة روما: ١٨٢.

كنيسة سان دنيس: ١٤٩.

كنيسة القبر المقدس: ١١٠.

كنيسة القديس سابا: ٦٣ - ١٨٦.

كنيسة القيامة: ٧٢ - ١١٠.

كوتزوفندي: ١٧٤.

الكورة: ٣٩ - ٤٦.

ل

اللاذقية: ٢٨ - ١٤٢.

لبنان: ١٨١.

ق

القارة الأوروبية، انظر: أوروبا.

القاهرة: ١٥٥ - ١٥٦.

قبرص، أنظر: جزيرة قبرص.

القدس، أنظر: بيت المقدس.

القسطنطينية: ١٩ - ١٦٩ - ١٨٣ -

١٩٠.

قلعة البحر: ١٩٣.

قلعة تبين: ٣٣ - ١٩٣.

قلعة الحجاج (قلعة صنجيل):

٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٤٧ - ١٩٣.

قلعة شقيف أرنون (قلعة نيحا):

٤٩ - ١٩٣.

- اللد: ٢٤. ٩٥ - ٩٩ - ١١٠ - ١٣٦ - ١٤٥ -
 لوبوي: ١٩. ١٤٦ - ١٥٠.
 ليماسول: ١٧٠. نابولي: ١٧٧.
 المتن: ٣٧. الناصرة: ٧٣ - ١٥٥.
 مرسليليا: ١٤٤ - ١٥٦. النبطية: ١٩٣.
 مرعش: ٢١. نهر الأردن: ٧٠ - ٧٥ - ١١٨ -
 مصر: ١٨ - ٢٩ - ٥٨ - ٦٣ - ١٣٤.
 نهر الأولي: ٢٤. ١٦٩ - ١٧٠ - ١٨٠ - ١٩١ -
 نهر العاصي: ١٣٥. ١٩٢.
 نهر الكلب: ٢٤ - ٢٧ - ٣٧. مصيف: ٢١.
 نورمنديا: ١٨. المصيصة: ٢٠.
 نيقوسيا: ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٤. مضيق البوسفور: ١٩.
 ١٧٥ - ١٨١. معرة النعمان: ٢١.
 نيقية: ٢٠. المغرب: ١٧٨.
 و المناطق اللبنانية: ٣٧ - ٣٨ -
 وادي التيم: ٣٧ - ٤٠ - ٤٩ - ٥٠. ٤١ - ٦٣ - ١٤٥ - ١٦٥ - ١٦٧ -
 وادي عربة: ١٣٥. ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧١.
 ي منبج: ١٤٥.
 يافا: ٣٤ - ٧٠ - ٧٦ - ٧٧ - ٩٥. مونيليه: ١٤٤.
 ٩٩ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٥٠.
 ن نابلس: ٧٣ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠ -
 اليمن: ١٦٩.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين علي، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٦٧ م.
- ابن جبير، محمد بن علي، رحلة ابن جبير:
 - طبعة بغداد، ١٩٣٧ م.
 - طبعة القاهرة، ١٩٥٥ م.
- ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبدالله، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١ م.
- ابن القلاعي، جبرائيل اللحفدي، حروب المقدمين، نشر بولس قرألي، المجلة البطريركية، السنة العاشرة، بيروت، حزيران - تموز، 1935 م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة، ١٩٦٠ م.

- ابن يحيى، صالح، تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس هورس
اليسوعي وكمال الصليبي، بيروت، ١٩٦٧م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق
الآفاق، بيروت، ١٩٨٩م.
- أمين، سمير، الطبقة والأمة في التاريخ وفي مرحلة
الإمبريالية، ترجمة هنريت عبود، دار الطليعة، ط ١،
بيروت ١٩٨٠م.
- بالار، ميشال، الجمهوريات البحرية الإيطالية والتجارة في
الشام وفلسطين قبل القرن الثالث عشر، ضمن كتاب
«الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون
الوسطى»، بيروت، ١٩٩٤م.
- بولس، جواد، تاريخ لبنان، نقله إلى العربية جورج حاج،
بيروت، ١٩٧٣م.
- البيشاوي، سعيد، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت
المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،
١٩٨٩م.
- حتي، فيليب، تاريخ العرب المطوّل، ترجمة ادورد جرجي
وجبرائيل جبور، ط ٤، بيروت، ١٩٦٥م.
- حطيط، أحمد:

- إشكاليات كتابة تاريخ جبل عامل في العصر الوسيط
جريدة السفير - العدد الصادر بتاريخ 26 / 9 / 1988 م.
- تاريخ لبنان الوسيط/ دراسة في مرحلة الصراع
المملوكي - الصليبي، دار البحار، بيروت ١٩٨٦ م.
- الدبس، يوسف، تاريخ سوريا، بيروت، ١٩٠٢ م.
- رنسيما، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تعريب السيد
الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧ م.
- سباين، جورج، تطور الفكر السياسي، ترجمة حسن
جلال العروسي، مراجعة فتح الله الخطيب، دار
المعارف، لا تاريخ.
- الصليبي، كمال، منطلق تاريخ لبنان، بيروت، ١٩٧٩ م.
- طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في
العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
- أوروبا في العصور الوسطى، ج ٢، دار النهضة
العربية، ط ٣، بيروت ١٩٧٢ م.
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة،
١٩٦١ م.

- العريني، السيد الباز، الإقطاع الحربي عند الصليبيين، بمملكة بيت المقدس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، نهضة مصر، لا تاريخ.
- عطية، عزيز سوريال، العلاقات بين الشرق والغرب، تجارية، ثقافية، صليبية، ترجمة فيليب صابر سيف، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٧٢ م.
- كانتور، نورمان ف.، التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، ج ١، دار المعارف، ط ٢، مصر، ١٩٨٤.
- كاهين، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥ م.
- كوبلاند، ج.و. وجرادوف، ب. الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٨ م.
- المقرئزي، تقي الدين أحمد، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٣، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- هايد، ف.، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تعريب أحمد محمد رضا، القاهرة، ١٩٨٥ م.

- وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، تعريب سهيل زكار، بيروت، ١٩٩٠م.

- Bear, art, «Ismailyya», *E I* 2, Iv, pp. 215-216.
- Benevenisti, M., *The Crusaders in the Holy Land*, Jerusalem, 1970.
- Brese, H. et autres, *Etats, Sociétés et Culture du Monde Musulam Médiéval (X-XV s)*, Paris, 1995.
- Cahen, Cl.:
 - * Indigènes et Croisés, un médecin d'Amaury et de Saladin, in *Syria*, 1934, pp. 351-360.
 - * «Note sur les Origines de la communauté Syrienne des Nusayris», in *Revue des Etudes Islamiques*, Paris, 1970, pp. 243-249.
- Orient et Occident au temps des Croisades, Paris, 1983.
- * La Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la Principauté d'Antioche, Paris, 1942.
- Chalandon, F., *Histoire de la première Croisade*, Paris, 1952.
- Conder, C.R., *The Latin Kingdom of Jerusalem*, London, 1897.
- Debit, R., et autres, *Les Croisades*, Paris, 1988.
- Delaville Le Roulx, *Cartulaire générale de l'Ordre des Hospitaliers*, T. I, Paris, 1897.
- De Mas-Latrie, M. L., *Histoire de l'Ile de Chypre sous le règne des princes de la maison de Lusignan*, Paris, MDCCCLXI.
- Dédéyan, G.. «Les Communautés chrétiennes Orientales, in *Arabica*, T. XLIII, Fascicule I, Janvier 1996.

Grousset, R.:

* Epopée des Croisades, Paris, 1936.

* Histoire des Croisades, Paris, 1936.

- Guillaume de Tyr, Le Royaume de Jérusalem (1099-1184), édité et annoté par M. Guizot, Beyrouth, 1992.
- Jacques De Vitry, Histoire des Coisades, édité par M. Guizot, Paris, 1825.
- Kaplan, M., et autres, Les Croisades, Le Sac de Constantinople, Paris, 1988.
- Makhairas, M. L., Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, Oxford, 1932.
- Mayer, H.E., The Crusades, Oxford, 1927.
- Metcalf, «Coinage of The Crusades and The Latin East» in *Ashmolean Muslum*, London, 1983.
- Michel Le Syrien, Chronique, édité en français par J. B. Chabot, Paris, 1905.
- Praver, L., The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1973.
- E., Rey, Les Colonies Franques de Syrie au XII^{ème} et XIII^{ème} siècles, Paris, 1883.
- Richard, J.:
 - * Le comté de Tripoli sous la dynastie Toulousaine, Paris, 1945.
 - * Croisades et missions en Terre d'Orient, Extrait du Colloque de Lyon, organisé le 23-31 Mai, 1980, sur «Les réveils missionnaires en France".
 - * La papauté et les missions d'Orient au Moyen- Age, Rome et Paris, 1977.
 - * Le Royaume latin de Jérusalem, Paris, 1953.

- Ristelhueber, R., Les Traditions Françaises au Liban, Paris, 1918.
- Runciman, S., A History of The Crusades, vol. II. Cambredge 1952.
- Sivan, C., L'Islam et la Croisade, Paris, 1968.
- Smith, J. R., The Feudal Nobility and The Kingdom of Jerusalem (1174-1277), London, 1973.
- Stephenson, C., Medieval Feudalism, New York, 1942.
- Wiet, G., art. «Banu Ammār», *EI*₂, I, p. 461.
- William of Tyre, A History of Deeds Done beyond The Sea, New York, 1943.

فهرس المحتويات

٥	إهداء
٧	مقدمة
	الفصل الأول: حركة الفرنج إلى الشرق من انطلاقها
١٧	إلى إقامة المملكة اللاتينية في بيت المقدس
	أولاً: «الحملة الصليبية» الأولى وملابسات العلاقة
١٨	مع بيزنطية
	ثانياً: المواجهة مع السلاجقة وإنشاء إمارتي الرها
٢٠	وأنطاكية
٢١	ثالثاً: اجتياز الفرنج الساحل اللبناني إلى القدس
٢٦	رابعاً: احتلال مدن الساحل اللبناني
	الفصل الثاني: التوزيع السكاني الطائفي في المناطق
٣٧	اللبنانية في ظل حكم الفرنج
	أولاً: المناطق اللبنانية وتوزعها على دويلات
٣٧	الفرنج

٣٩	ثانياً: السكان المحليون
٥٤	ثالثاً: نحو تقويم الروايات المختلفة
٦٥	الفصل الثالث: النظام الفيودالي في المملكة اللاتينية
٦٥	أولاً: ماهية النظام الفيودالي
٨١	ثانياً: العلاقات الفيودالية
٨٧	ثالثاً: الفرسان
٩٩	رابعاً: النظام القضائي الفيودالي
١٠١	١ - المحكمة العليا
١٠٤	٢ - المحكمة البورجوازية
١٠٧	٣ - المحكمة الفيودالية
١٠٨	٤ - المحكمة المحلية
١٠٩	خامساً: الكنيسة اللاتينية
	الفصل الرابع: حياة الجماعات اللبنانية في ظل النظام
١١٥	الفيودالي
١١٥	أولاً: لمحة في التنظيم الفيودالي للمملكة اللاتينية
	ثانياً: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان في
١١٩	ظل النظام الفيودالي
١١٩	١ - سكان الأرياف
١٣٣	٢ - المحاصيل الزراعية
١٣٧	٣ - سكان المدن

١٣٨	(١) التجارة والتجار
١٤٥	(٢) الصناعة والصناع
١٥٢	(٣) الأسواق
١٦٢	(٤) النظام النقدي
	الفصل الخامس: حركة النزوح والهجرة والتبشير
١٦٥	والامتيازات الأجنبية
١٦٥	أولاً: حركات النزوح السكانية
	ثانياً: قدوم أقوام عربية وإسلامية إلى الشام وتأثيرها
١٦٨	في ديمغرافية المناطق اللبنانية
١٦٩	ثالثاً: هجرات مسيحية لبنانية إلى جزيرة قبرص
١٧٦	رابعاً: حركة التبشير
١٨٥	خامساً: الامتيازات الأجنبية ..
١٨٩	خاتمة
١٩٥	الفهارس
١٩٧	فهرس الأعلام والجماعات
٢٠٥	فهرس الأماكن
٢١٣	قائمة المصادر والمراجع
٢٢١	المحتويات

الرويس -

ص.ب: ٩

تلفاكس: ٤٧

raja.com





الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

